فلورا كيد

اليخت

مكتبة زهران

جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ موبايل : ٠١٢٢٣٧٨٦٤١٨

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية

GALLANT'S FANCY



روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الندى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!

١ ـ ميراندا تحلم كثيراً ، ولكنها تحتفظ بأحلامها في سرّها لأنها تعرف ان امكانيات تحقيقها بعيدة . حتى بادرتها رئيستها ذات صباح : « ما رأيك في رحلة الى البحر الكاريبي ؟ »

قالت موظفة المكتب الجديدة :

ـ السيدة فيبس تريد أن تراك في مكتبها الآن آنسة ميراندا بنسن .

فسألت فندي شو احدى زميلات ميراندا العاملات على الآلة الكاتبة :

ـ ما الذي كنت تنوين عمله يا ميراندا ، عندما كنا غافلين عنك ؟

وقالت جين تايلر مازحة وهي عاملة اخرى على الآلة الكاتبة :

ـ ان فيبس تود رؤيتك في مكتبها لتعرف اذا كنت قد ارتكبت خطأ ما . هل أنت متأكدة انك لم ترتكبي أي خطأ ، يا ميراندا ؟

ابتسمت ميراندا للمزاح الذي تعودته خلال سنوات أربع كعاملة على الآلة الكاتبة في شركة ترانسمارين هولدينغ حيث كانت تعمل بجدّ يومياً ، مكتفية بأن تكون موظفة عادية في شركة عالمية كبرى ذات فروع في لندن ، علماً ان مصالحها كانت منتشرة في العالم كله . مرة واحدة فقط خلال تلك المدة دعتها السيدة فيبس التي كانت مسؤولة عن قسم الطباعة الى مكتبها ، وكان ذلك منذ ثلاثة اشهر . يومها حلّت مكان جانيت كولي سكرتيرة دوغلاس انغرام أحد أقوى المديرين العاملين في الشركة . اذ مرضت الآنسة كولي بينما رئيسها وسط مفاوضات مهمة تتعلق بشراء ممتلكات ، وفي ايام قليلة تعلمت ميراندا كيفية الاطلاع على احدى « صفقات ترانسمارين الكبيرة » .

ولأنها عرفت انها لم ترتكب خطأ ، سحبت ورقة مطبوعة باتقان من الآلة الكاتبة ووضعتها بعناية في ملف . وسرّحت شعرها الأسود الناعم المنسدل على كتفيها ثم نفضت فستانها الأزرق البحري وحملت حقيبة يدها وتوجهت الى مكتب السيدة فيبس .

قرعت على الباب ، فسمعت السيدة تأذن لها بالدخول . فتحت الباب الزجاجي ودخلت المكتب .

ـ هل تودّين رؤيتي يا سيدة فيبس ؟

كانت برندا فيبس جالسة خلف مكتب عريض وفي يدها رسالة . شعرها مصفف بعناية ، لباسها الأسود تزين ياقته شريطة بيضاء . وعلى أنفها نظارتان لهما اطار اسود . كانت ميراندا دائمة الاعجاب برئيستها اذ كانت برندا فيبس بالنسبة لها مثال المرأة الناجحة . ودليلها الى ذلك انها كانت تقوم بمسؤوليات عملها في المكتب دون أن تقصّر في التزاماتها حيال عائلتها . لقد كانت ميراندا تأمل في أن تصير

يوماً مثلها أماً لطفلين رائعين ، وزوجة رجل لطيف مثل جورج فيبس ورئيسة قسم العمل على الآلة الكاتبة ، أو سكرتيرة فعالة لدى أحد المديرين الكبار .

كانت لميراندا أحلام اخرى ، لكنها احتفظت بها في سرّها ، ذلك انها كانت تعرف ان امكانات تحقيقها بعيدة . ورغم هذا ، كانت هذه الأحلام تشغلها دائماً وهي في طريقها الى العمل دون أن تؤثر عليها سلباً .

عاودتها أحلام اليقظة هذه في حضرة السيدة فيبس فتلونت وجنتاها وبدت في عينيها الرماديتين ملامح حالمة شاحبة . لاحظت برندا فيبس هذا اللون وهذه الملامح فبدا وجهها الصارم أكثر سماحة . وفكرت والحزن يعتريها ، لكن بمحبة ، كم هو رائع ان يكون الانسان فتياً مثل ميراندا .

ـ صباح الخير ، ميراندا . نعم ، اريد رؤيتك . تفضلي واجلسي .

جلست ميراندا على كرسي جلدي عريض ، ركبتاها متلاصقتان ويداها في حضنها ، تماماً كما علّمتها العمة كلارا . وبدت بشعرها المتساقط شلالاً على كتفيها وخديها المخضبين وعينيها الصافيتين كأنها فتاة مدرسة مثالية رغم انها في الثالثة والعشرين من العمر .

اعتدلت برندا في كرسيها ، وأسندت ذقنها بيديها . وانتقت كلماتها بدقة :

ـ ما رأيك في رحلة الى البحر الكاريبي ؟

لدى سماعها كلمة « كاريبي » تراءت لميراندا بسرعة خريطة الجزر الواقعة شمال اميركا وجنوبها . انه مكان ساحر الجمال . . . شواطىء رملية ذهبية تحت شمس ساطعة تظللها اشجار النخيل .

مكان يمكن للمرء ان يحقق فيه احلامه .

استعادت حضورها الذهني وسألت :

ـ وكيف السبيل الى ذلك ؟

ـ باستطاعتك السفر كسكرتيرة لدوغ انغرام .

ـ ولكن ماذا عن الآنسة كولي ؟ ألا يريد أن يأخذها ؟

اوضحت برندا :

ـ كان لا بد لها من أن تأخذ اجازة اضطرارية . ذلك الألم الذي عانته في الخريف عاودها الآن . السيد انغرام سأل عنك لأنك اشتركت في المفاوضات الأولى حول شراء عقار في جزيرة هناك .

ـ نعم ، أذكر . فالصفقة لم تتم لأن السيد انغرام اكتشف في اللحظة الأخيرة ان اتفاقاً مع شخص آخر ، له حصة في الأرض موضوع الحديث على الجزيرة ، كان ضرورياً . عندئذ قال السيد انغرام انه سيحاول العثور على هذا الشخص واقناعه ببيع حصته .

قالت ميراندا هذا باسلوب يدل على خبرة واطلاع مهني مما حاز اعجاب برندا .

ـ حسناً . يسرني انك تذكرين التفاصيل . واضح انك كنت مهتمة ، والاهتمام في هذه القضية ضروري اذا اردت أن تكوني سكرتيرة جيدة . ربما كان اهتمامك هذا هو الذي عزز أسهمك وأوصى بك لدى دوغ انغرام . هل افهم من هذا انك تقبلين ؟

ـ طبعاً .

بدت ميراندا فتاة متحمسة ، وهجرتها برودتها اذ تراءت لها فرصة العمر امامها . فجأة تذكرت جو وتغيرت قسمات وجهها . وسألت بشيء من التحدي :

ـ كم من الوقت ستستغرق الرحلة ؟

ـ شهراً ، ستة أسابيع ، ربما أطول . هل هذا مهم ؟

ـ نعم . تعرفين ، ربما . . . اعني اني آمل في الزواج في حزيران .

بحثت نظرات برندا المتفحصة في اصابع ميراندا المتشابكة . فلم يقع نظرها على خاتم خطوبة في يدها اليسرى . قالت بصوت خافت :

ـ لكنك لست مخطوبة .

ـ كلا . ما من شيء رسمي . فقط . . .

وتحت تلك النظرة الحادة القوية لبرندا تلاشى صوتها تدريجياً. وعلقت برندا بنبرة جافة :

ـ اذن ، لو كنت مكانك يا ميراندا لأخبرته بهذا العرض . انا متأكدة انه سيتفهم ، واذا كان بالفعل يحبك ، فلن يكون عقبة في سبيل ترقيتك . هذه ترقية ، آمل أن تدركي ذلك .

ـ نعم ، سيدة فيبس ، اني ادرك ذلك . اني شديدة الامتنان لمجرد ان فرصة السفر هذه اتيحت لي . . .

ـ اقبليها أو، ارفضيها وعودي الى قسم الطباعة حتى تصيري زوجة عادية كسواك من الفتيات . وكما تعرفين ، تبنّت الشركة حديثاً سياسة جديدة . فهي لن توظف في المستقبل متزوجات يعملن على الآلة الكاتبة الا على أساس دوام جزئي . بينما ستهتم من ناحية ثانية بتوظيف آنسات يبرهنّ على قدرتهن في السكريتاريا على أساس دوام كامل .

تطلعت ميراندا في عيني برندا القاسيتين وللحال طردت من ذهنها كل فكرة تتعلق بجو وقالت :

ـ اني أقبل عرضك .

كان لديها شعور غريب بأنها اتخذت أخطر قرار في حياتها .

وأردفت :

ـ ماذا علي أن اعمل ؟

ـ انك فتاة طيبة . (وعادت الى برندا ابتسامتها الدافئة ثانية) سأشرح لك الآن كل شيء . دوغ انغرام موجود الآن في نيويورك ، حيث تمكن من الاتصال بالشخص الذي ستكون موافقته ضرورية قبل أن تشتري شركة ترانسمارين العقار في جزيرة فورتوغا . وقد دعا هذا الشخص الى القيام برحلة سياحية استجمامية الى الجزر على يخت الشركة الفخم . وفي أثناء الرحلة يريد أن يزور الجزر حيث تمتلك ترانسمارين الفنادق ، أو حيث تبني أماكن للاستجمام . وعلى اليخت سيكون أفراد من العائلة الذين كانوا اتصلوا بنا قبلاً ويريدون بيع حصصهم . طبعاً ، الغاية هي البحث في مسألة الشراء واشاعة الانطباع بأن ترانسمارين تريد مساعدة المناطق المتخلفة عمرانياً . هذا واعتقد ان دوغ انغرام بطلبه اياك لتكوني سكرتيرته دلّ على ذوق رفيع ، لأني اعرف انك ستكونين مضيفة جيدة .

ـ مضيفة ؟ (هتفت ميراندا) ولكن ألن تكون السيدة انغرام هناك ؟

ـ زلدا ستكون هناك ، لكنها في حاجة الى المساعدة ، فهناك أفراد آخرون من العائلة . نساء ، أخوات ، بنات وأبناء . وأنا اعرف من مراقبتي إياك في العمل أن مرافقة هذه الفئة المختارة لن تزعجك . انك أهل لمهمة كهذه .

تمتمت ميراندا :

ـ العمة كلارا .

قالت برندا بابتسامة خفيفة:

ـ تماماً .

كانت تعرف كل شيء عن كلارا بنلسن التي كانت تعلم الأدب الانكليزي في احدى الثانويات والتي كانت تهتم بتربية طفلتين لأخيها الذي قتل مع زوجته في أثناء تمضيتهما عطلة في أوروبا .

ـ ولكن لنعد الى العمل . اليخت يرسو في مرفأ سان خوان في جزيرة بورتوريكو . ودوغ انغرام يرغب في انضمامك اليه بأسرع ما يمكن . في استطاعتي حجز مكان لك على احدى الرحلات السياحية التي تنظمها شركتنا . في امكانك أن تتركي فاتويك بعد غد . أتعتقدين انك ستكونين جاهزة ؟

بدت ميراندا تلك اللحظة في دوامة من أفكار شتى . كان يصعب عليها دائماً كعاملة على الآلة الكاتبة أن تشتري لنفسها ما يحلو لها من ثياب . خزانتها تقتصر على ما هو ضروري . ولم تكن تملك في ذلك الوقت من السنة فستاناً مناسباً للصيف . ناهيك عن ملابس السهرة والبحر . واذ لاحظت برندا ملامحها المنقبضة ، قالت مبتسمة :

ـ في استطاعتك الحصول على سلفة لشراء ألبسة جديدة . أنصحك بالألبسة القطنية كي تجتنبي لسعة الحر . كما تستطيعين أن تجدي ملابس ملائمة لرحلتك في أي مخزن جيد . واذا لم تتمكني هنا من شراء ما أنت بحاجة اليه فما عليك سوى الانتظار حتى تصلي الى الجزر العذراء . زلدا انغرام تقول ان المحلات هناك تبيع ملابس رائعة .

قالت ميراندا بشيء من الخوف :

ـ اخشى ان يكون الوقت دهمني .

قالت برندا :

ـ خذي ما تبقى من اليوم وغداً عطلة . افضل الا تذكري أي

شيء عن رحلتك لبقية البنات في المكتب . سيعرفن بها فيما بعد .
وطوت الرسالة التي كانت تقرأها ثم اعادتها الى مغلف وسلمتها اياها .
ـ انها لك من السيد انغرام . فيها مزيد من التعليمات . لا بد من القول ان عائلة غالنت تبعث على الاهتمام . طبعاً التقيت طومس غالنت حين كان هنا .
قالت ميراندا بشيء من العفوية التي فطرت عليها والتي كثيراً ما أضحكت رفاقها في العمل :
ـ نعم ، التقيته .
لم ترتح الى الطريقة التي كان طومس غالنت يراقبها فيها خلال المرات القليلة التي التقته في مكتب السيد انغرام . بدا شديد الاهتمام بساقيها الظاهرتين تحت تنورتها القصيرة ، على رغم انه في الخمسين من العمر .
ـ فاسدون في معظمهم على ما اظن . (قالت برندا مازحة) وهذا قلما يدهشنا عندما نفكر في انهم غالباً يتحدرون من سلالة قرصان . في أي حال اعتقد انك قادرة على الاهتمام بنفسك .
ـ آمل ذلك .
ـ ربما كانت كلمة تحذير لا تذهب سدى . تذكّري ان هؤلاء الناس ، رغم اسمائهم ولكنتهم الانكليـزية ليس لهم سلوك البريطانيين ولا خلقهم ، عاشوا وسط البحار طويلاً . حسناً ، هل امضي وأحجز لك مكاناً في الطائرة ؟
اجابت ميراندا :
ـ نعم ، ارجوك .
في طريقها الى بيتها ، ذلك المساء ، في القطار السريع الى

دارتفورد في كنت حيث تعيش مع عمتها واختها الصغرى دوروثي ، قرأت ميراندا للمرة الثانية رسالة دوغ انغرام ، هذه الرسالة التي ناولتها اياها السيدة فيبس .

بعد شرحه لها كيفية الوصول الى مطار سان خوان ، طلب منها احضار شريط التسجيل الذي كان سجل عليه محادثاته مع طومس غالنت في الخريف ، وان تحضر كذلك نسخة عن المراسلات التي تبادلها مع ذلك السيد في الأشهر الأخيرة .

« انه زبون مراوغ . (تابعت الرسالة تقول) انه يطلب الآن مبلغاً أكبر لعقاره لأن عليه ، كي يبيعه منْ دون موافقة الشريك الآخر ، ان ينقض اتفاقاً قديماً ينص على استحالة التصرف بحصة واحدة من دون موافقة الأطراف الأخرى . . . على كلٍ ، تمكنت من الاتصال بصاحب الحصة الثانية روجر غالنت ابن عم طومس . دعوته الى القدوم الى الجزر . هدف العملية الأول اقناعه بالموافقة على البيع ، واذا أمكن ، ان يبيعنا حصته هو بالذات . »

وتضيف الرسالة : « بما انه يبدو انانياً ، عابثاً لا يهتم بالملكية على الاطلاق ، اعتقد أن لدينا حظاً طيباً في اقناعه بالبيع . وما يدعو الى الاهتمام اكثر انه موسيقي ، وله اغنيات شعبية عدة معروفة وربما سمعتها ، والا فعليك التعرف عليها . كوني جاهزة لاطرائه ، لأني اعرف من مصدر وثيق انه ضعيف امام السحر الانثوي لذا من الضروري التأثير عليه . »

طوت ميراندا الرسالة ووضعتها في المغلف . بدا انه لم يكن لديها مجال للاختيار بين آل غالنت . فجميعهم متشابهون في نظرتهم الى الحياة والنساء ، وهي لم تكن متلهفة للقاء أي واحد منهم .

دخل القطار دارتفورد . وتركت المحطة مع عدد من الركاب

لمواجهة الريح الشرقية التي كانت تهب عبر نهر التايمز من بحر الشمال .

رفعت ميراندا ياقة المعطف حتى أذنيها . وأسرعت وسط الشوارع المحاطة بمنازل شبه متفرقة تنبعث منها أضواء تشق ليل الشتاء المخيف . انها تعيش مع العمة كلارا منذ زمن طويل دون أن تعرف عائلة أو أماً سواها . كان والدها الأخ الأصغر للعمة كلارا . كان موهوباً ، غير ان زواجه من امرأة أقل منه مستوى كان فاشلاً .

لم يكن مهماً بالنسبة الى كلارا بنسن أن تكون زوجة اخيها محبة وكريمة ، وان تحب زوجها حباً عميقاً . بل كانت القضية بالنسبة اليها ان كاترين كانت عاطفية ، وانها كانت تعبّر علناً عن هذه العاطفة حيال زوجها فتعانقه مثلاً من دون أي مراعاة لوجود اناس آخرين معهما . وبما ان كلارا لم تكن تستحسن هذا التصرف ، حاولت ما في وسعها خنق هذه المشاعر في ابنتي اخيها . ونجحت الى حد ما مع ميراندا التي كانت تخفي احاسيسها وراء مظهر متزن بارد .

لم تكن كلارا ناجحة مع دوروتي ، ابنة اخيها الصغرى ، اذ كانت هذه تبدي دلائل تحرر في سن مبكرة ، وكانت تمارس وهي لا تزال مراهقة كل الصرعات الجديدة . وعلى هذا الأساس تكهنت ميراندا ان اختها دوروتي لا بد سمعت عن غالنت وموسيقاه ، بينما هي ، بميلها الى الموسيقى الكلاسيكية ، لم تسمع به قط .

أخيراً وصلت الى البيت وانفتح الباب حين ادارت المفتاح في القفل ، وطريق الدار الضيقة المظلمة رحبت بها كالعادة .

هتفت عمتها من المطبخ :

ـ أهذه انت ، ميراندا ؟

اجابت ميراندا وهي تعلق معطفها :

ـ آسفة يا عمتي . كان علي شراء بعض الأشياء .
وقالت فجأة :
ـ احزري ، اني مسافرة الى جزر البحر الكاريبي !
ـ لست جادة فيما تقولين !
وقفت دوروتي في مدخل غرفة الطعام حيث كانت تجهز المائدة للعشاء . كانت أطول من ميراندا ، اكثر امتلاء ونمواً من اختها ، وهي في العشرين وكلها عزيمة .
ـ لا بل اني مسافرة فعلاً . سأسافر جواً يوم الجمعة الى سان خوان بصفة سكرتيرة للسيد انغرام مدة شهر أو ستة اسابيع .
صرخت دوروتي :
ـ وماذا عن جو ؟
وقبل أن تجيبها أطلت العمة كلارا من باب المطبخ ، طويلة ضخمة . شعرها الرمادي منفلت من رباطه ، مما يوحي بأنها لا تهتم بمظهرها . وفي الحقيقة كان شعرها دقيقاً يصعب ربطه .
كانت تبتسم هذه المرة ، وهذا نادراً ما يحدث ، بشهادة طالبات المدرسة التي كانت فيها معلمة .
ـ كنت اشعر دائماً ان هذه هي رغبتك يا ميراندا . (قالت بصوت عميق) وانا سعيدة لأنك لا تدعين احداً يمنعك من عمل ما تريدين . حقاً ، ماذا عن جو ، هل يحق له ان يمنعك من السفر ؟
اجابت دوروتي وعيناها الزرقاوان تلمعان :
ـ اذا كان سيتزوج ميري ، فله كل الحق .
ردت العمة كلارا :
ـ كلمة « اذا » هي الأساسية . من عامين تقريباً وهو يحكي عن الزواج . بالمناسبة ، لا أحب ان تختصري اسم اختك بهذه

الطريقة . ميراندا اسم جميل ، انا اخترته من احدى أفضل الروايات الأدبية عندي .

قالت ميراندا بلطف :

ـ لم يقل جو أي شيء محدد لأنه كان يحاول توسيع عمله وتطويره قبل أن يلتزم أي موقف .

كانت تحاول الدفاع عن جو لعدم طلب يدها وتحديد تاريخ موعد الاكليل .

ـ اذن ، ليس له الحق في قول أي شيء يثنيك عن السفر . ليست له كلمة في الموضوع مطلقاً ، وفي اعتقادي انه ليس جديراً بك ميراندا . . من الأفضل نسيان هذه القضية . العالم مليء بالشبان امثال جو . والآن تعالي تناولي الطعام قبل أن يبرد .

طال وقت العشاء اكثر من العادة ، ذلك ان الحديث عن رحلة ميراندا نال القسط الأعظم منه . وكانت هذه لا تزال في الطابق العلوي تغير ثيابها حين حضر جو كما هي العادة مساء كل اربعاء وسبت . كان يدعوها ، ومن دون استثناء ، منذ ان تعارفا من سنتين ، مما جعل الجيران يعتقدون انه كان يخرج معها بقصد الزواج .

وقبل أن تنزل الى غرفة الجلوس كانت دوروثي قد اخبرته عن الرحلة الكاريبية .

بادرها قائلاً بطريقته الخاصة :

ـ مفاجأة ، اليس كذلك ؟

كان ممتلىء الجسم ، في الثامنة والعشرين من العمر ، شعره أسود أجعد ، وقسمات وجهه حية . كانت ميراندا تراه جميلاً ، متجاهلة ثقل وزنه . وكان ابوه يملك شركة بناء ، حيث صار هو أخيراً شريكاً

له فيها . كان طموحاً وقوياً يسعى دائماً الى تحسين وسائل عمله .

اجابت ميراندا :

ـ نعم ، هذا صحيح . ولكن هذه ترقية .

حدجها بنظرة حادة محاولاً معرفة شعورها الحقيقي حول عملها الجديد .

ـ لا شك انهم يقدرونك كثيراً حتى يوكلوا اليك هذه المهمة . تكونين حمقاء اذا ما رفضتها .

ثم قال بشيء من اللياقة :

ـ ربما هي خبرة جيدة ، وقد تأتيك بالخير فيما بعد .

أحست بالخيبة . فرغم كل شيء لا يبدو انه سيعرض عليها الزواج . ومع انها ستغيب ستة اسابيع ، وربما ثمانية ، لم يبد ان هذا كان يهمه .

قالت بنعومة :

ـ سأغيب نحو شهرين .

ـ هذا ما قالته دوروتي . حسناً ، المدة ليست طويلة . لا اريد القول اني لن اشتاق اليك ، بل على العكس ، لكني في الوقت الحاضر مشغول جداً ، وهكذا سيكون وضعي في الأشهر القليلة المقبلة ، لهذا لن يكون في مقدوري رؤ يتك كثيراً . على أي حال ، حين تعودين . . .

توقف قليلاً .

سألت وهي تحبس انفاسها :

ـ نعم ؟ حين أعود ؟

ـ سيعرف واحدنا شعوره اكثر حيال الآخر ، اليس كذلك ؟ يمكننا ان نعتبر هذا محكاً لنرى اذا كان الغياب سيؤ ثر في علاقتنا . انا

لست ماهراً في أمور الحب .

بدا جو مرتبكاً لأول مرة مذ عرفته .

ـ أتعرفين ما أعني يا ميراندا ؟

ـ نعم ، أعرف ما تعني ، يا جو .

اجابت بصوت رقيق غريب ، لكنه لم يلاحظ هذا .

ـ حسناً ، هذا ما كنت متأكداً منه . متى تسافرين ؟ يوم الجمعة ؟ ربما سأجد الوقت لأوصلك الى المطار وأودعك .

انه مستعد لذلك . يفرحه أن يوصلها مع دوروتي والعمة كلارا بسيارته الجديدة . وباحساس المنهزم وافقته ميراندا . وأمضين بقية السهرة يستمعن اليه يحدثهن عن مشاريعه الجديدة .

شعرت ميراندا بارتياح لابتياعها ما تحتاج اليه ، في يومها الأخير في انكلترا ، وهكذا كان ، اذ أمضت يوم الخميس تنتقل من متجر الى آخر تتبضع ما تحتاج اليه من ألبسة صيفية وأحذية ، كذلك دوروتي أخذت يوماً واحداً اجازة ورافقتها ، وكانت خير معين لها في اختيار الألبسة .

في أثناء تناولهما غداء خفيفاً سألت ميراندا اختها عن روجر غالنت وأغانيه .

ـ هل سمعتك جيداً ؟ (سألتها دوروتي) آه ، أقسم لك ميري ، انه يؤلف أروع المعزوفات . والعاطفة في أغانيه ليست من هذا العالم . لا بد انك سمعت اغنية « نجوم في البحر » الجميع سمعها ؛ حتى العمة كلارا قالت مرة ان لحنها جميل . انها كذلك بالفعل . طبعاً ، انت غارقة في الموسيقى الكلاسيكية الى درجة انك لا تصغين الى اية قطع موسيقية محترمة . في الواقع ان الأغنية تلك كانت مقطعاً موسيقياً في فيلم اميركي عن الكاريبي . لكن لماذا تسألين ؟ آه ، يا

ميراندا ، هل ستلتقينه في هذه الرحلة ؟

ارتفع صوت دوروتي ، وهي تقوم وتقعد بحماسة على كرسيها ، مما لفت اليها انظار رواد المقهى .

همست ميراندا :

ـ اسكتي ، يا دوروتي . الجميع ينظرون اليك . ماذا ستقول العمة كلارا ؟

ـ لا يهمني . كيف تبقين لا مبالية حيال لقائك شخصية كهذه ؟

ـ اذا كان مثل ابن عمه طومس ، فاني لا اريد لقاءه . انه على الأرجح في الخمسين ، على وشك ان يشيخ .

ـ آه ، كلا ، انه ليس كذلك . وهذا هو الشيء العجيب فيه . كانت موسيقاه في ذروة نجاحها وهو في العشرين من العمر . (علقت دوروتي بجدية) كان هذا من ستة أعوام . آه ، يجب أن تصغي الى كيت ويليامز يغني هذه الأغنيات . انه يبعث الارتعاشة في أعماقي !

بدت دوروتي ثانية على وشك الاغماء ، وتملكت ميراندا رغبة لا تقاوم في ان تضحك لتصرف اختها المبالغ فيه .

وسألتها :

ـ ولكن من هو كيت ويليامز ؟

ـ جهلك يا ميراندا يخيفني . (قالت مقلدة العمة كلارا) أحقاً تسألين عن كيت ويليامز ؟ الا تذكرين انه كان يغني في نادٍ ليلي في الطرف الغربي من المدينة العام الفائت ؟ ألا تقرأين صفحة التسلية في الصحف ؟ انه مغن من هنود الغرب ، وهو فوق ما يتصوره العقل .

ـ ما علاقته بروجر غالنت ، عدا انه يغني أغانيه ؟ (سألت ميراندا

وفي ذاكرتها ما قاله لها السيد انغرام ان عليها جمع ما امكنها من المعلومات عن روجر غالنت).

- انهما صديقان من نفس الجزيرة والأغنية التي اخبرتك عنها وضعتهما على طريق الشهرة . لقد احسنت بسؤالك والا لكنت سافرت الى سان خوان دون معرفة أي شيء عنه . وليس هذا مستحسناً . لدى عودتنا الى البيت سنعرج على منزل سيو ، عندها تسجيل لكيت ويليامز يغني مختارات من أغاني روجر غالنت . هناك سيكون في استطاعتك سماع أي موسيقى من تاليفه .

بعد ظهر ذلك اليوم جلست ميراندا في غرفة سيو غرين المتميزة بفوضاها . كانت سيو غرين أفضل صديقة لدوروتي . واخذت تستمع الى صوت كيت ويليامز يغني « نجوم في البحر » بمرافقة الغيتار . على سرير سيو المفرد ، وهي فتاة سمينة شقراء عيناها زرقاوان مستديرتان ، تمددت كل من سيو ودوروتي . فمهما فاغران ، جسماهما متراخيان وكلتاهما غارقتان في موسيقى الأغنية وفي الصوت الذي يغنيها . كانت الكلمات حزينة ، عاطفية ، تحكي قصة حب ضائع . اما الموسيقى فقد كانت شيئاً آخر ، لم تكن دائماً في المنحى المنتظر ، وتلفت المرء بتمايز أنغامها ، وهذا كان شيئاً غير مألوف في اغنيات شعبية من هذا النوع . كان فيها العمق والتنوع . ألّفها شخص يجيد الموسيقى وليس متطفلاً على عالمها .

وبينما هي تصغي ، قلبت ميراندا غلاف الاسطوانة وقرأت ما كتب عليه ، لمحة عن كيت ويليامز وكيف انه كان يغني في نادٍ ليلي مظلم في سان خوان حين دخل صديقه القديم روجر غالنت .

قال كيت ويليامز :

« فتاة التقيتها في سانت طومس أعطتني هذه القصيدة . عرضتها

على روجر الذي لحنها وفي تلك الأمسية غنيتها في النادي . سمعها المخرج السينمائي نيوتن الذي كان في سان خوان يخرج فيلماً . جاءني طالباً مقابلة مؤلف اللحن . وهذا ما جعلني وروجر نقدم موسيقى هذا الفيلم المذكور » .

القصة المختصرة لم توفر لها معلومات كافية عن روجر غالنت . كل ما هناك انها اعطتها لمحة مقتضبة عن عالم آخر وحياة اخرى . قصة النجاح السريع هذا كانت برهاناً على انه ليس من الضروري ان يكون المرء تخطى الثلاثين حتى يحقق النجاح .

في صباح اليوم التالي وكما وعدها ، أوصلها جو الى المطار . قدم اليها باقة من الورود دون أن يفكر بما يمكنها أن تفعل بها في الطائرة ، وعلبة كبيرة من الشوكولا . بهرها سخاؤه ولم تتمالك ميراندا دموعها حين قبّلها على خدها للمرة الثانية وطلب منها الكتابة اليه . في الحقيقة ، كانت المناسبة تستحق رحلة كهذه ، لمجرد ان تسمع اطراءه وتتسلم هداياه . هكذا حدثت نفسها وهي تسير في الممر الى الطائرة ، ولكن لو انه طوّقها بذراعيه ورجاها الا تذهب طالباً الزواج منها لكانت شعرت بسعادة اكبر .

لكن الحماسة التي ولدتها الرحلة بددت دموع الفراق . أخذ جميع المسافرين يتوجهون نحو الطائرة التابعة لهولدينغ ترانسمارين التي كانت تستخدم قاعدة سان خوان لرحلات لسبوعية بين جزر الكاريبي .

جلست ميراندا في مقعد بين اثنين ، احتلت الأول امرأة بدينة متوسطة العمر ذات شعر أشقر ، ووجه كثير الحمرة والمساحيق واحتل الثاني رجل مثلها مكتنز الوجه .

قدمت المرأة الشقراء نفسها دون تردد . كان اسمها ماري

موات . من سكان وسط البلاد .

ـ رغم محبتي لبلدتي ، انا سعيدة أن ابتعد عنها في هذا الوقت من السنة .

هذا ما باحت به الى ميراندا :

ـ اذا ما رأيت اي شيء يستحق الرؤ ية من خلال هذه النافذة فسأدعوك الى رؤ يته . فالطيران سيكون مملاً ، مدته تسع ساعات ، كما يقولون . يمكننا ان نتصاحب من البداية . هل انت ايضاً في رحلة الاستجمام هذه ؟

وقبل انقضاء الساعة الأولى كانت ميراندا قد اخبرت السيدة موات بكل شيء عن وظيفتها ، كما انها سمعت من السيدة عن رحلاتها الاستجمامية في الشتاء الى حيث المناخ الدافىء . كانت امرأة حيوية واسعة الاطلاع ، طيبة المعشر كما هي الحال بالنسبة الى الكثيرات من ارامل انكلترا .

ـ انها رحلتي الأولى الى الكاريبي (قالت السيدة موات) سأقوم بزيارة الكثيرين . سأتعرف الى رئيس القضاء الأعلى لاحدى الجزر وسأزور ابنة صديقة لي في كندا ، ابحرت الى هناك مع زوجها على متن قارب شراعي . تصوّري ، هذه الأميال كلها في قارب صغير ! ستة اسابيع فقط ، آه ، انظري ، الغيوم اخذت تنقشع . في استطاعتي رؤ ية المحيط . انظري .

تطلعت ميراندا ، وكانت مدهوشة لرؤ ية مساحة زرقاء تحتها بآلاف الأقدام ، انها المحيط الأطلسي . حتى انها تمكنت من رؤ ية سفينة كبقعة صغيرة تتحرك ببطء في مياه المحيط .

احضرت المضيفة المقبلات ، وعرفت ميراندا ان الجالس الى يمينها كان هاري ولتون وهو تاجر لندني في أول رحلة له الى الكاريبي

ايضاً .

- لم يكن في استطاعتي احتمال طقس الشتاء في انكلترا اسبوعاً آخر . (قال ولتون) لهذا طلبت من سكرتيرتي الاتصال بوكيلي للسفر لتستعلم عن رحلات الاستجمام ، فاقترح سان خوان وقضاء اسبوعين في التنقل بين الجزر . وها انا هنا مع ليلي . ها هي ليلي ، زوجتي ، جالسة في الأمام . آه ، بالكاد يمكنني الانتظار حتى احس بأشعة الشمس تلفح جلدي . والآن ماذا تودين ان تشربي ؟ عصير الفاكهة ؟

أشياء كثيرة كانت تحدث في الطائرة فلم تشعر ميراندا بالضجر . راقبت المضيفات يحركن العربات بين المقاعد ويخدمن كل واحد بابتسامة عذبة . وبالكاد انتهين من تقديم المشروبات حتى عدن بوجبة طعام . لم تعرف ميراندا تماماً اية وجبة هي ، ذلك انها لم تكن متأكدة من الوقت .

حين انتهت السيدة موات من وجبة الطعام نامت وأخذت تشخر قليلاً . كذلك غفا السيد ولتون وأخذ يشخر هو الآخر . اما ميراندا فتناولت مجلة تتصفحها وهي تتساءل عمن سيكون في انتظارها في مطار سان خوان .

بعد الشاي خاطبهم قبطان الطائرة . كان عليهم ضبط ساعاتهم لدى اقترابهم من سان خوان اذ كانت الساعة شارفت الرابعة بعد الظهر . كان الطقس عاصفاً والمطر ينهمر والحرارة اثنتين وعشرين درجة .

عاودت الحماسة ميراندا . قريباً ستكون على ارض اجنبية لأول مرة في حياتها . ومع انها تركت انكلترا منذ ساعات ، فانها لم تشعر انها تركتها ، لأن الطائرة كانت بريطانية وكذلك المسافرين الذين

حولها . نصف ساعة وتكون في بورتوريكو ، وهذه حالياً جزء من الولايات المتحدة ، لكن الاسبان هم الذين يسكنونها منذ البداية ولغة سكانها اسبانية .

كانت هناك جلبة حماسية بين المسافرين . واكتشف كل من السيدة موات والسيد ولتون ان لهما معارف مشتركين . ليلي والتون اعتدلت في مقعدها تتحدث مع ميراندا . وبدا ان الضحك واللطف هما الشعور السائد في الطائرة .

اتكأت السيدة موات الى ظهر مقعدها كي تتمكن ميراندا من التطلع عبر النافذة . رأت البحر أقرب . تبعثر زرقته أمواج كبيرة من الزبد الأبيض . . . وبانت لها الجزيرة عالية تنعكس اضواؤها في المياه مؤلفة مهرجاناً من الألوان المتلألئة .

وأخيراً ، عندما نظرت الى تحت ، رأت زرقة المياه في قاع البحر تتحول ارجوانية ، ثم أقل عمقاً . وعند الرمال الشاحبة الصفراء صارت موجاً مزبداً يتكسر عند أطرافها ، وأشجار النخيل ترفع أوراقها العريضة في الريح . ثم بانت ناطحات السحاب ما وراء الشاطىء والنخيل ، تطل على سطوح مستوية لمنازل متواضعة وأكواخ خشبية . وخلفها التلال مغطاة بالعشب الأخضر ، كغابات بورتوريكو الشديدة الاخضرار . ثم اختفى كل شيء من امام بصرها بسبب عاصفة استوائية ماطرة أخذتْ تضرب البلدة .

أخذت الطائرة تهبط ثم لامست المدرج ، وابطأت في اندفاعها حتى وصلت امام بناية المطار حيث توقفت . وللحال دبت الحركة بين المسافرين فوقفوا وراحوا يجمعون معاطفهم وحقائبهم من تحت المقاعد .

أول انطباع أخذته ميراندا عن سان خوان ، ان هواءها دافىء ،

رطب بسبب المطر الاستوائي ، ومشبع برائحة البحر . وتناهت اليها ضحكات بورتوريكيين قدموا معها على الطائرة ، ثم لاحظت دموعهم وهم يلتقون أقارب وأصدقاء جاءوا لاستقبالهم كما طربت للغة الاسبانية ذات النبرة الموسيقية في كل مكان حولها .

وقفت الى جانب السيدة موات في قاعة الوصول للمطار ، وأخذت تراقب بشغف اللقاءات العائلية : بنات جميلات يرتدين ثياباً اميركية على آخر طراز ، ألوانٌ بعضها صارخ متنافر ، شبان ممشوقون اكتافهم عريضة ، شعرهم كث أسود ، وملامح تعود بالذاكرة الى الاسبان القدامى ، على مناكبهم قيثارات . كانت القيثارة في الواقع عبارة عن رمز ، وراح احدهم يعزف على قيثارته ويغني بالاسبانية اغنية حب ، مما أفرح العائلة والرفاق الذين اتوا لاستقباله . . .

لم يكن البورتوريكيون وحدهم الخارجين من الطائرة الاميركية . بل كان هناك اميركيون ايضاً ، سواح قصدوا هذا البلد الدافىء لقضاء عطلة منتصف الشتاء . نساء متوسطات العمر ، صففن شعرهن بعناية ، ورجال في ثياب خفيفة يحملون حقائب تميزها أسماء نوادي غولف ، وهذا رمز آخر يشير الى المرتبة والمركز . بدا اللون الأبيض غالباً على ثيابهم . بناطيل وسترات بيضاء . بذلات بيضاء مزركشة بالأحمر أو الأزرق . بلوزات بيضاء ، جزادين بيضاء ، أحذية بيضاء .

رفع ولتون احدى حقائبها وقال بمرح :

ـ ها انت هنا الآن . علينا اللحاق بالباص الذي سيأخذنا الى سفينة الرحلة الاستجمامية . هل كل شيء على ما يرام ؟

ـ نعم ، شكراً .

قبلتها ماري موات على خدها ، مما اثار دهشتها .

ـ انتبهي ايتها العزيزة ، ولا تضيعي . لقد سرني السفر معك ، يا ميراندا ، وتذكري زيارة لورا بالتون في حال مرورك في غرينادا . ستكون سعيدة للقائها شابة مثلك آتية من وطنها الأم .

تركاها ، ولأول وهلة تدفقت الدموع الى عينيها . كانا رباطها الأخير بالوطن حتى تلتقي السيد انغرام . مسحت دموعها ، لم ترد ان تبدو عاطفية وسخيفة . فالعمة كلارا نادراً ما كانت تستحسن التعبير عن الأحاسيس في العلن . على اي حال ، لم يمض على معرفتها بماري وهاري سوى ساعات قليلة ، لذا يجب ألا تهتم بهما كثيراً . كل ما في الأمر انهما مواطنان طيبا المعشر خفيفا الروح من الذين في استطاعتها الركون اليهم في بلد غريب .

وصلت حقيبتها الثانية ، رفعتها متعجبة من ثقلها . وخفّ الجميع عبر الأبواب الزجاجية ، اما الى سيارات الأجرة واما الى الباصات . كانت مهمتها التالية ايجاد المكتب الذي كان مفترضاً ان تجد فيه رسالة من السيد انغرام كما سبق وذكر هذا في تعليماته اليها . تطلعت حولها ، فلمحت المكتب عند زاوية كبيرة . حملت حقائبها ، وجرّت نفسها اليه . وصلت اليه والعرق يتصبب منها اذ هي لم تعتد على مثل هذه الحرارة . وتمنّت لو تحصل على شراب بارد منعش .

الشاب الذي وراء المكتب كان يتكلم الانكليزية بلكنة اميركية يشوبها سحر لاتيني . وبالفعل كانت في حوزته رسالة لها من السيد انغرام . وأدركت من قراءتها الرسالة انه لم يتمكن للأسف من ارسال أحد لملاقاتها . وكان عليها بالتالي ان تستقل التاكسي الى المرفأ وتسأل عن نادي اليخوت « سي كوينست » وأي سائق تاكسي يعرف اين ترسو المراكب المخصصة للرحلات الاستجمامية .

أخفت تبرمها من عدم وجود أحد لملاقاتها ، ومن احتمال أن يخطىء السائق فهم التعليمات التي عليها ان تعطيها له . ابتسمت ميراندا للموظف بثقة وتهذيب . وما ان استدارت لتخرج حتى وجدت نفسها تدوس قدم شخص كان يقف خلفها .

ـ آه اني آسفة ! آمل الا اكون آذيتك ؟

قالت تعتذر بصدق ، ورفعت عينيها فاصطدم نظرها بنظارتين شمسيتين ساطعتين . كان الوجه حول النظارات نحيلاً ورجولياً لوحته الشمس قليلاً . فمه حسن الشكل مقوس في ابتسامة سحرية خفيفة .

قال لها :

ـ أنت بعيدة عن الوطن .

كانت لكنته انكليزية من دون شك ، وكان يرتدي الجينز كما هي حال كثير من الشبان ، مما جعله يبدو كأي شخص آخر .

كانت ميراندا تحدق في نظارتيه المعتمتين وتتمنى لو ينزعهما عن عينيه .

قال لها :

ـ اعتقد انك من لندن .

وللحال لاحظت شيئاً غير انكليزي في كلامه ، كان فيه شيء من هنود الغرب .

اجابت ميراندا :

ـ صحيح .

بدت مرتبكة وهي تخاطب رجلاً غريباً وكأنه يعرفها من زمان . اشاحت بوجهها عنه وهمت بالتقاط الحقائب .

ـ اسمحي لي .

وقبل ان تستطيع اكمال سيرها كان قد حمل أثقل حقائبها . بينما أمسك بيده الثانية حقيبته التي كلنت مغطاة بشارات عديلة ، مما يدل على الأسفار الكثيرة التي قام بها .

ـ لكنني سأدعو حمالاً .

ـ جميعهم مشغولون ، كما تلاحظين اذا ما تطلعت حولك . الى أين أنت ذاهبة ؟

ـ الى الميناء .

ـ انا ايضاً . (قال بصوت خافت) سنذهب معاً .

ترددت مرتابة ، فابتسم لها بلياقة وسحر وبانت اسنانه البيضاء المتناسقة .

ـ تعالي .

وبثقة متزايدة مصدرها ابتسامته المحببة ولكنته الانكليزية المألوفة ، تبسمت ميراندا له . رفعت حقيبتها الأخرى وأسرعت وراءه ، وهو يحث الخطى على رغم مظهره الوقور .

اوضحت له :

ـ أشرطة التسجيل هي مصدر ثقل الحقيبة .

سألها متطلعاً اليها برفع حاجبيه :

ـ اشرطة تسجيل ؟

ـ نعم ، طلب مني رئيسي احضارها .

ـ هو الذي ستلتقينه في الميناء ؟

ـ نعم . سنبحر في رحلة الى الجزر .

ـ الآن ؟ وماذا ستقول زوجته ؟

ـ ستكون معنا . انها رحلة عمل ، وليس كما تظن . .

قالتها بجدية وبنبرة مؤنبة مداعبة في آن ، لكنه تبسم لها ،

فأحست بالاحمرار في خديها .

خرجا الى الهواء الرطب ، وللحال اندفعت صوبهما سيارة كبيرة وتوقفت امامهما .

نادى الرجل على السائق بالاسبانية فلوّح هذا بيده مبتسماً ، وخرج من التاكسي ودار حول السيارة ليفتح الصندوق ويساعد الغريب في وضع الحقائب .

فتح الرجل باب السيارة الخلفي ، داعياً ميراندا الى ان تدخل .

ـ هذا لطف كبير ، سيد . . .

قالتها بتردد ثانية .

ـ هذا من دواعي سروري . (اجابها باقتضاب) لنستقل التاكسي نفسه ما دمنا في الاتجاه ذاته . اعتبري عملي شكراً للخدمات الكثيرة التي قدمت الي يوم كنت في لندن ، اذا كان هذا التبرير يجعلك تقبلين خدماتي من دون ارتباك .

صعدت الى السيارة ، جلس الى جانبها وأغلق الباب ، وبسرعة انطلقت السيارة بهما مبتعدة عن المطار الى طريق ضيقة على جانبيها أشجار نخيل . كان المطر قد توقف وسطعت الشمس ، أشعتها تكاد تؤذي العيون .

فتحت ميراندا حقيبة يدها لتتناول نظارتيها الشمسيتين ، فسحبت عن غير قصد رسالة السيد انغرام . وقعت الرسالة على ارض التاكسي فانحنى يلتقطها ، ولاحظ الاسم والعنوان على الغلاف قبل اعادتها اليها .

سألها ان كانت هي ميراندا :

ـ نعم .

قالت له بشيء من عدم الرضا ، وسحبت الرسالة من يده .

ـ ميراندا (قال يلفظ اسمها بتأنٍ) . كم هو رومانسي هذا الاسم بالنسبة الى فتاة انكليزية . هل أنت ميراندا شكسبير ، تلك البريئة العاطفية في مسرحيته « العاصفة » ؟ ميراندا الحائزة كل اعجاب ، الكاملة التي لا مثيل لها ، خلاصة فضائل البشر ؟

انزعجت لكلامه هذا كما لم تنزعج من قبل . الا انها اخفت مشاعرها وراء نظارتيها المحكمتين بعناية على انفها . ومن خلف زجاجهما الأسمر تفحصته بدقة .

لم يتبادر اليها ساعة التقته في قاعة المطار انه يكبرها سناً بكثير ، اما الآن فقد تأكدت انه في نحو الثلاثين من عمره ، بل قد يكون بات في المقلب الثاني من عمره .

الا انه كان على شيء من الأناقة لم تلاحظها بادىء الأمر . وقد يعود هذا ، في ظنها ، الى انه كان يرتدي تحت سترته الزرقاء قميصاً وربطة عنق . صحيح ان طوق القميص كان مرتخياً وحلّ ربطة العنق بسبب الحرارة ، غير ان كليهما من نوع ممتاز وينمّان عن ذوق رفيع . اما شعره فبدا حديث التقليمة مقصوصاً مصففاً يلمع ، بلونُ الكستناء ، وبسمرة صحراوية داكنة . تمنت ميراندا رؤية عينيه ، ذلك ان رؤية عيون الآخرين تجعل معرفتهم أسهل . ويبدو انه ادرك هذه الحقيقة فتعمد حجبهما .

سألها فجأة ، مما جعلها تجفل :

ـ هل اكتفيت ؟

ـ اكتفيت ؟ (سألته بدورها وهي تنظر الى فمه عساها تعثر على مفاتيح شخصيته) .

كان حازماً في حساسية ، صارماً في راحة ، يميل الى الابتسام متى تكلم .

ـ مني . كنت تقيسينني كما قاست ميراندا الأخرى فرديناند حين تحطمت سفينته على جزيرتها . كانت تظن انه روح من العالم الثاني حتى أكد لها والدها ان فرديناند كان بشراً . هكذا يمكن أن أصف نفسي . انك في مأمن . لست خاطفك ، بل أعرض عليك شيئاً من ضيافة الجزيرة .

ـ آه ، هل تعيش هنا ، اذن ؟

ـ ليس هنا ، ولا في أي مكان آخر بصورة دائمة في الوقت الحاضر ، لكني ولدت ونشأت على جزيرة في الأندوس الغربي .

هذا يفسر لهجته ، قالت ميراندا في سرها ، اذ تذكرت من دراستها الجغرافيا في المدرسة ان العديد من جزر الأندوس الغربية كانت مستعمرات بريطانية سابقاً ، وان غالبيتها لا تزال منضوية في الكومنولث .

كانت سيارة التاكسي مسرعة من دون اعتبار لوعورة الطريق ولا لقوانين السرعة وظهرت اكواخ خشبية قديمة بين غابات الموز والنخيل وأشجار التمر وقد تفتحت براعمها زهوراً صفراء ووردية لامعة . هنا وهناك على جانب الطريق سيارات عتيقة معطلة كان البورتوريكيون يتخذون منها دكاكين يبيعون فيها أغراضاً متنوعة .

وحين استوضحت ميراندا مرافقها عنهم ، اجاب :

ـ انهم باعة متجولون ، يبيعون برتقالاً مقشراً ، سراطين وأراجيح وسلالاً من جوز الهند ذي العصير الأكثر انعاشاً لدى اشتداد الحر .

وصلا الى مفترق حيث تتصل الطريق بأخرى عريضة عليها شاحنات وسيارات وباصات زرقاء وبيضاء مسرعة . لم تكن هناك شارات سير ، فأخذ السائق خطه ، وانحرف بسيارته الى اليمين

وانطلق في مجرى السير ، مما دفع بسائقي السيارات الذين فوجئوا به الى اطلاق أبواق سياراتهم عالياً ، حتى ان احدى السيارات تخطته وأمطره سائقها ، وهو في محاذاة سيارته ، ببعض الشتائم ، فرد سائق التاكسي عليه بمثلها . ورمقت ميراندا مرافقها وقد دهشت لما رأت ، وما سمعت . اما الرجل الغريب فكان يراقب ويصغي ، وابتسامة خفيفة على فمه . وحين تحركت السيارة الأخرى الى الأمام في اثر السيارات الأخرى ، مال الى الأمام صوب السائق وحدّثه بالاسبانية .

ثم قال لميراندا :

ـ طلبت منه ان يسلك الطريق الفرعية في المناطق الآهلة بدل الخط السريع هذا . بهذا يمكنك رؤية المنطقة عن كثب . مع الأسف ، ان شوارع سان خوان متخمة بالبنايات العالية . في أواسط الأربعينات قرر الحاكم ان شيئاً ما يجب أن يتم لتشجيع السواح على زيارة الجزيرة . لهذا انطلقت حملة كبيرة في هذا الاتجاه ، فشيدت فنادق عالية وفخمة . ومع ان السياحة بدأت بفتور أولاً إلا انها قويت فيما بعد . الفنادق في كل مكان . عندئذ ظهرت مشاكل تبعها تراجع في العمران . ستلاحظين الكثير من الفنادق المغلقة .

ـ على هذا الأساس يفضل اصحاب شركة ترانسمارين عدم البناء هنا .

اجابته ميراندا مداعبة وهي تتأمل الفيلات ذات الطابع الاسباني القديم والشرفات الحديدية المزدانة بزهور قرمزية حمراء .

ـ ترانسمارين ؟ (سألها مرافقها والاهتمام في صوته) لاحظت العنوان على رسالتك . ما علاقة فتاة طيبة مثلك بهؤلاء القراصنة ؟

فوجئت بتهجمه على الشركة التي تعمل فيها وأجابته ببرودة :

ـ اشتغل عندهم . كنت في قسم العمل على الآلة الكاتبة في المكتب الرئيسي في لندن ، وبسبب مرض سكرتيرة السيد انغرام جئت مكانها فيما كان يجري المفاوضات الأولية لشراء عقار كبير على جزيرة فورتوغا . قد تكون سمعت بها .

ـ نعم، سمعت بها .

كان في صوته هذه المرة مزاح جاف ، فتذكرت انه من الأندوس الغربي ولا بد طبعاً ، انه سمع بفورتوغا .

وسألها بعد اكتراث :

ـ وهل هذا « الانغرام » الذي تتحدثين عنه هو الرئيس الذي ستلتقينه في المرفأ ؟

ـ نعم . انه المسؤول عن شراء العقارات في المنطقة الغربية . انه فائق الذكاء ، فقد أتم صفقات خيالية ، لقد دعا عائلة صاحب العقار في جزيرة فورتوغا الى القيام معه برحلة بحرية لاطلاعها على بعض فنادق ترانسمارين وأماكن الراحة .

ـ ولكن لماذا يريد فعل ذلك ؟

ـ يبدو ان موافقة احد افراد العائلة ضرورية لتحقيق عملية البيع ، لهذا دعاهم عساه يبت في الأمر بطريقة ودية . كذلك يقول السيد انغرام ان العقبة هي في احد افراد العائلة ، فهو اناني لا يهتم بالعقارات موضوع الصفقة ، مع انه يملك نصفها ، وهو لا يعيش هناك مطلقاً . واعتقد انها ستنتهي الى الخراب ، وهذا عار ، في الوقت الذي يمكن تحويلها الى مكان استجمام لقضاء عطلات جميلة فضلاً عن افساح مجال العمل لابناء المنطقة في مشروع كهذا .

ـ وهل التقيت احداً من العائلة المذكورة ؟

ـ نعم ، الذي يريد البيع . قدم الى مكتب لندن في الخريف . انه

متشوق الى ان يرى شركة ترانسمارين تلتزم هذا المشروع .

- اكيد ، انما بثمن .

اجابها بملاحظة مبهمة جعلتها تلتفت اليه وتحدق فيه بينما ينظر خارج السيارة متظاهراً بعدم الاهتمام .

لاحظت ميراندا بعض المنازل . لمعالمها الهندسية جمال فريد . كانت لها حدائق جميلة تحوي شتى أنواع الورود . وأعجبتها الطرق الضيقة وعند أطرافها البحر يلمع تحت الشمس وأمواجه الفاتحة الزرقة تتكسر فتستحيل زبداً عند الشاطىء الذهبي .

انعطفت سيارة الأجرة الى طريق رئيسية ، حيث اصطفت بنايات حديثة من الاسمنت ، شديدة البياض تحت الشمس . بعضها دل في هندسته على اثر اسباني ، القناطر مغربية فخمة شرفاتها من حديد . فجأة لاحظت الى اليمين حجراً اسمر دافئاً يتوهج كالذهب تحت أشعة الشمس ، وابراجاً ضيقة مستديرة الرأس ، وجدراناً كبيرة مائلة .

سألته وقد اعجبها هذا المظهر الأثري :

- ما هذا ؟

- حصن سان جيرونيمو . انه واحد من سلسلة حصون بناها الاسبان لحماية الميناء من القراصنة البريطانيين والفرنسيين . سان خوان قديمة بالنسبة الى عالم اليوم . عمرها اربعمائة وخمسون سنة ، منذ قدوم المحتلين الى هنا .

فجأة استطرد يسألها :

- ماذا ستفعلين في هذه الرحلة العملية التي نظمها رئيسك ؟

- اسجل ملاحظات ، أطبع رسائل وأساعد السيد انغرام في عملية الترفيه .

ـ وتساعدين على تليين قلب ذلك العاصي في العائلة الذي لا يريد البيع ؟

كان سؤاله ذكياً وموحياً بالمعاني ، مما لم يعجب ميراندا .

ـ ساعرف كيف اقوم بذلك . (اجابته بجدية) ثم اني لا اظن ان السيد انغرام يلجأ الى اساليب كهذه .

ـ وأنت ؟

كان في سؤاله شيء من السخرية .

ـ كل ما سافعله هو اظهار الفوائد التي تقدمها شركة ترانسمارين ، هذه الفوائد التي ستفوق ما تقدمه أي جماعة اخرى .

ـ هل مكثت في أي من فنادق ترانسمارين ؟

ـ كلا .

ـ اذن ، انت لا تعرفين الكثير عنها ، أليس كذلك ؟ كذلك لا اعتقد انك فكرت بشعور أهالي الجزر الذين يتضررون في المدى الطويل من مؤسسات امثال الترانسمارين بدلاً من تركهم ينمّون امكاناتهم الذاتية بأساليبهم الخاصة .

ـ لكنهم يستفيدون كذلك من وظائف وتسهيلات جديدة .

ـ ليس دائماً ، وهنا المشكلة . نحن في طريقنا الى البلدة القديمة الآن ، هنا سترين الجمال الحقيقي ، قليل من القدم والانحلال ، ومع هذا هي بلدة رائعة الجمال . فجاة ، يأتي احدهم ليبدي اهتمامه بها واستعداده لينفق على تحسينها .

كانت سيارة الأجرة تعبر شوارع ضيقة بين منازل عالية الجدران ، نوافذها طويلة وأنيقة مشرعة على شرفات حديدية دقيقة وبواباتها الجميلة تحمي باحات خضراء وشجيرات تنعكس أشكالها في مياه الينابيع وقريباً من المرفأ بنايات متصدعة جرداء اللون تقوم على

أعمدة خشبية .

فجأة وصلا الى شارع عريض يحاذي الميناء حيث مساحة من المياه وسيعة كانت تلمع تحت الشمس . وسفن كبيرة للنزهة ترفع مراسيها . طلاؤها ابيض مضيء ، أعلامها البهيجة ترفرف مرحة في الريح .

انعطف السائق الى الشارع وسألها بالانكليزية عن اسم الرصيف الذي يقصدانه . ولما تطلع الرجل نحوها متسائلاً بدوره أدركت ميراندا انها لا تعرف العنوان . فافرت بجهلها وأعطته اسم اليخت . ابلغ الرجل الاسم الى السائق الذي اومأ برأسه قائلاً كلاماً بالاسبانية .

تمتم صاحب النظارتين الشمسيتين :

- يقول السائق انه نقل احدهم الى اليخت الذي تقصدين ، وهو على الرصيف .

بدا بارداً ومغلقاً على ذاته . وأحست بأن الدفء الذي لاقاها به تبدد عن قسماته كما احست بالأسف ان انساناً بهذا اللطف وهذه المساعدة سيفلت من حياتها الى الأبد .

خرجت الى الرصيف ، كانت الشمس حادة تخترق خيوط سترتها وتلصقها بجلدها . كانت ساقاها دبقتين تحت جوارب النايلون ، وتمنت لو تغطس في المياه الزرقاء . اخرج مرافقها محفظته ، ونقد السائق اجرته قبل ان ينطلق هذا مبتعداً . اقترب حمال ووضع الحقائب على عربته . انذاك تأكد لها ان الرجل ذا النظارتين سيرافقها حتى اليخت .

دخلا قاعة باردة وعبرا ممراً ، وخرجا من الطرف الآخر واتجها الى حيث رسا مركب للنزهة كبير يلمع . كان الناس يصعدون اليه .

وحين عبرا مقدمه رأت ميراندا الأسم ولحظت انه المركب الذي سيقل ماري موات وولتون في رحلة استجمام بحرية لمدة اسبوعين .

احد التعب ينال منها وهي تسير خلف الحمال والرجل ذي النظارتين . كان يومها طويلاً ، وقد بدأت تحس بآثاره . بينما بدا الغريب الداكن البشرة بلون النحاس غير آبه بالحرارة . كان يسير على هواه وهو يتحدث الى الحمال . وقدّرت ميراندا بادرته في مرافقته اياها الى هنا . اذ لم يكن ليكترث اليها كابرون غيره .

كانا قريبين كفاية من قارب صغير مربوط وراء يخت النزهة فاستطاعت أن تتبين اسمه المحفور بأحرف ذهبية عند مقدمه .

قال الرجل مشيراً الى المعبر :

ـ ها قد وصلنا . . .

وبتردد خطت ميراندا صوبه تتساءل اذا كانت لحظة الفراق قد دنت .

ـ سآتي معك .

قالها بصوت خافت ، ما جعلها ممتنة له ، من دون ان تدعه يلاحظ ذلك لأنها كانت تضع على عينيها هي ايضاً نظارتين شمسيتين .

انعطفت وراحت الى المعبر الذي كان فوق مساحة من الماء ضيقة تفصل اليخت الأبيض عن المرسى . على متن القارب وجدت نفسها امام بابين من الزجاج . فتحت احدهما ، ودخلت مكاناً مبرداً .

- نزعت عن عينيها نظارتيها بتمهل لتعتاد الضوء الخفيف بعد نور الشمس القوي خارجاً ، لهذا لم تتنبه الى شابة في الممر سمعتها تهتف :

ـ ماذا تفعل هنا ، يا روجر ؟

ـ كما تفعلين .

لم تستطع حرارة صوته ان تخفي برودة ما في داخله .

ـ اني هنا للبحث في مستقبل أملاك غالنت .

التفتت ميراندا نحوه وعيناها الرماديتان الواسعتان تتهمانه . كان قد ازاح نظارتيه فظهرت عيناه اذ التقتا عينيها ، خضراوين بشفافية الجليد .

ـ نعم ، ميراندا . (قال يرد نظرتها المتهمة) انا هو المتمرد في عائلة غالنت ، أنا هو الأناني الذي يرفض بيع حصته . انا روجر غالنت ، واريد أن أقدمك الى واحدة من أبناء عمي ، خوانيتا غالنت خوانيتا ، هذه ميراندا بنسن ، سكرتيرة انغرام .

٢- لم تتخيل ميراندا ان مهمتها شائكة الى هذه الدرجة. وجدت نفسها ممزقة بين مصالح الشركة التي تعمل فيها وبين عائلة غالنت التي تحبها. وخصوصاً روجر، الموسيقي الذي له اكثر من موهبة!

وقفت ميراندا جامدة هادئة محاولة التغلب على عاصفة الغضب التي هددت تماسكها. كان غضبها ممتزجاً بشعور من الخيبة، ذلك ان الشاب الذي صاحبها في المطار ورافقها الى اليخت خدعها. وأحجم عن ذكر اسمه عمداً وتركها تفصح عن خطط الترانسمارين.

ـ كيف حالك؟ اني سعيدة بوصولك سالمة. كنت في انتظارك. السيدة انغرام رغبت في الذهاب الى شاطىء لوكويلو لتمارس هواية السباحة، فأخذها السيد انغرام وطلب مني استقبالك. يا له من حظ ان تحضري وروجر معاً الى اليخت.

على رغم اسمها وملامحها الاسبانية كانت خوانيتا تتكلم الانكليزية بلكنة كالتي لروجر. كانت الكلمات تفيض منها بسرعة كأنها خائفة ان يقاطعها احد قبل ان تقول كل شيء. كانت في نحو الثالثة والعشرين من العمر، شعرها اسود كالليل، عيناها رماديتان ضاحكتان وملامحها كاستيلية، ترتدي تنورة فضفاضة وقميصاً يصل الى ما دون كتفيها. ابتسمت ميراندا بجهد كبير وشكرتها.

- لم يكن هناك داع لأن تزعجي نفسك. (اجابتها الشابة الذهبية البشرة).

ثم التفتت الى ابن عمها وقالت:

- من زمن طويل لم يلتئم شمل العائلة هكذا، يا روجر.

- جميعنا؟ (استوضحها ببرودة) هل مارني هنا؟

بدت خوانيتا على غير ما يرام، وهربت الضحكة من عينيها.

- نسيت مارني. (اعترفت بصوت خافت).

ردَّ بحدَّة قائلاً:

- معظمكم ينساها أكثر الاحيان.

ولاحظت ميراندا، اذ رمقته، ان روجر كان غاضباً بمقدار غضبها هي والشرر يتطاير من عينيه وفمه الجميل تقلّص.

- لمجرد انها ضريرة لا يعني عدم وجوب حضورها في أي حال، أي صفقة بيع للعقار يجب ان تشملها مباشرة. هل عرفت ان طومس لم يعلمها برغبته في البيع؟ كما لم يعلمني بالأمر انا ايضاً.

- اذن كيف عرفت الأمر؟ (سألته خوانيتا).

التفت ينظر الى ميراندا بعينين خضراوين تشعان، وأجاب بلباقة:

ـ عرفت في طريقي الى هنا. الآنسة بنسن أخبرتني.

احست ميراندا بقواها تكاد تخور وتمنت لو تجد حائطاً قريبا لتلطمه. واقتضى منها هذا الموقف كل ما عندها من برودة لتبدو وكأن شيئاً غير عادي لم يحدث. وهي لم تستطع الى الآن ان تتعامل مع روجر غالنت كما يجب. كشفت كل شيء حتى قبل شروعها في المهمة الجديدة.

سألته خوانيتا وقد اخذتها الحيرة:

ـ ولكن لماذا جئت اذا كنت لا تعرف الهدف من رحلة الاستجمام هذه، ومن الذي دعاك؟

ـ قدمني كيث ويليامز الى انغرام خلال حفلة في نيويورك. وذكر لي هذا الاخير انه سينظم هذه الرحلة الى الجزر. وقال انه يرغب في تسميتها فورتونا، وكذلك دعاني الى الالتحاق بها. ولأنه لم يكن لدي ما هو افضل رأيت ان اقبل الدعوة. لم اكن اعرف انه يعمل في الترانسمارين، او ان شركته كانت مهتمة بشراء العقار. والا لما أتيت. متى بدأت هذه المفاوضات، يا خوانيتا؟ هل تعرفين؟

ـ كل ما اعرفه هو ان والدي ذهب الى لندن الخريف الماضي للاجتماع بمسؤولي الترانسمارين. كان يجس نبض المهتمين بتنمية الفنادق وأماكن الاستجمام بغية بيع العقار المسمى الفولي. تقدمت الترانسمارين بأفضل عرض. عندئذ اكتشف السيد انغرام ان الفولي لا يباع من دون ان يباع العقار الآخر المعروف باسم الفانتي ولهذا السبب اتصل بك.

هز روجر علامة الموافقة ثم قال معلقاً:

ـ وبدهاء عظيم اقنعني بالمجيء الى هنا. لماذا يريد طوم البيع؟

اجابته خوانيتا بخجل:

ـ اظن انه في ضيق مادي. ارجو الا تغضب، يا روجر. انك تعرفه.

ـ اعرفه جيداً. (غمغم روجر بمرارة) هل اتى رامون معك؟

ـ نعم.

واضاء وجه خوانيتا بالضحك.

ـ لدينا الكثير لابلاغك اياه. اننا ننتظر مولوداً في حزيران.

لمعت ابتسامة شاحبة في وجه روجر النحيل:

ـ حسناً: اعتقد انه من الافضل ان تفعلي ما قاله انغرام وان تأخذي سكرتيرته الى حجرتها. من المفروض وجود من يحمل حقائبها. ثم اني في حاجة الى شراب منعش.

قالت خوانيتا:

ـ هناك مقصف. اليخت رائع يا روجر يحوي كل شيء.

ـ ثقي بأن لدى ترانسمارين كل شيء. (قال روجر متهكماً، ملتفتاً الى ميراندا ببرودة، وابتعد يصعد درجات مغطاة بسجادة. رأته ميراندا يختفي فداخلها شيء من الراحة).

ـ انت تعبة من دون شك. (خاطبتها خوانيتا بصوت حنون وبشيء من القلق بان في عينيها العسليتين وهما تتفحصانها) اعلم جيداً معنى السفر بالطائرة كل هذه المسافة. كنت اتلقى دروساً هناك.

وذكرت لها خوانيتا اسم مدرسة خاصة للبنات في غرب انكلترا، وسألتها اذا كانت تعرفها. فردّت ميراندا بانها سمعت بها لكنها تحاشت ان تذكر لها ان هذه المدرسة ارقى بكثير من المدرسة التي

تعلمت هي فيها.

ـ من هنا. (قالت خوانيتا وكأنها معتادة على اعطاء الأوامر) حجرتك قريبة منا. اخي يأتيك بالحقائب فيها بعد. لو كنت مكانك لاستحممت وحاولت النوم. وحين يعود الآخرون من لوكويلو نتناول عشاءنا ونذهب الى نادٍ ليلي لمشاهدة رقص الفلامنغو. زوجي رامون من بورتوريكو. عائلته اشترت مصفاة غالنت من سنوات. انهم مشهورون بصناعة العصير. آمل في ان يأتي روجر معنا الى النادي. انه المكان الذي كتب فيه موسيقى النجوم في البحر. هل عرفت انه مؤلف موسيقي؟

توقفت خوانيتا عن الكلام، ربما بسبب تعبها الناتج من نزولها الدرج الى الطابق السفلي الذي يفضي الى رواق عريض شبيه بالرواق الذي كانا فيه لتوهما والذي يمتد من مقدم اليخت الى مؤخره.

اجابت ميراندا دون ان تخفي برودة في صوتها:

ـ اخبرني السيد انغرام.

والتفتت خوانيتا اليها قائلة:

ـ انك منزعجة. لم يكن روجر لطيفاً، انه ليس دائماً كذلك. حتى لو كان مضطرباً، فهو لا يظهر غضبه، خلافاً لي. حين اغضب، تعرفين.

وضحكت خوانيتا.

ـ آمل الاّ يرحل روجر. فأبي يحاول الاتصال به منذ فترة للبحث في مستقبل اراضي غالنت، ولكن روجر لا يجيب على رسائله. انه يتهرب كثيراً ويكره العمل. الموسيقى همّه. يبدو احياناً غريباً ومأخوذاً الى عالم آخر، وهذا يزعجنا.

انعطفت في ممر ضيق يمتد على طول جانب اليخت. تبعتها ميراندا والقلق على مستقبلها يستبد بها فجأة.

- آمل الأ يرحل. (قالت ميراندا) انه يعرف سبب دعوته الى هذه النزهة البحرية، واذا رحل قبل قدوم السيد انغرام سأكون في مأزق. كنا قادمين معاً الى الميناء، وفي اثناء الحديث اعلمته بسبب مجيئي الى هنا وغاية السيد انغرام من دعوته للآخرين، وهذا قبل ان اعرف من يكون. كيف كان في مقدوري معرفته؟

وقفت خوانيتا خارج باب ضيق محدقة في ميراندا.

- كان في استطاعتك معرفته من صورة ربما اطلعت عليها من قبل. (ردت خوانيتا) طالما انه في هذه الملابس والنظارتين السوداوين سيكون من الصعب التعرف اليه، وربما لهذا السبب أراد ان يبدو كذلك على ما اظن.

قالت ميراندا بشيء من الغضب:

- ما رأيت صورته ابداً من قبل. وما سمعت به او بموسيقاه حتى اول من أمس.

- لم تسمعي به حقاً؟ (سألتها خوانيتا متعجبة) آه، انه يحب معرفة ذلك. انه انطوائي ويكره الدعاية التي ترافق اغانيه. من هنا خوفي الا يأتي معنا الليلة الى النادي، ذلك ان لويز بينتز قد يثير ضجة حوله ويسلط عليه الاضواء. ما هو المأزق الذي ستقعين فيه اذا رحل قبل وصول دوغ انغرام؟

- قد اخسر وظيفتي وانا لم ابدأها بعد.

- لا تخافي، لن ادع هذا يحصل. والآن هذه حجرتك.

فتحت خوانيتا الباب، ودخلتا الى مقصورة صغيرة مرتبة تحتوي على سرير، خزانة، علاّقة ثياب وحمام. وكان الضوء يتسرب اليها

من كوّتيها الصغيرتين.

- بيننا بابان، وهذا شيء مفرح، عندك راديو.

لم تعرف ميراندا كيف تخاطبها، فلقّبتها «سنيورة».

- ارجوك ناديني نيتا. (قاطعتها خوانيتا ضاحكة) ان كلمة سنيورة كلمة اسبانية فيها كثير من التكلف بين انكليزيتين. عليك ان تتذكري دائماً اني درست في انكلترا واني ابنة طومس غالنت. مع اني اشبه امي البورتوريكية وطبعي لاتيني.

- ولكن اكيد ان السيدة غالنت والدتك.

لاحظت ميراندا متذكرة جمال دون غالنت الفضّي كأشعة شمس شاحبة وذلك في عتمة مكتب في لندن بعد ظهيرة احد الايام من شهر تشرين الثاني.

- دون زوجة ابي. تزيدني بست سنوات فقط. التقاها ابي في ميامي. يومها كانت تغني مع فرقة في ناد. حين التقت روجر احبته، لكنه كان في عالم آخر، وهكذا صارت من نصيب والدي.

قالت خوانيتا ذلك بشيء من العبوس والتهكم.

- احكي كثيراً، واشعر انك تعبة وغير قادرة على الاهتمام بتعقيدات عائلة غالنت. سأبحث عن اخي كارلوس الذي على رغم اسمه الاسباني تلقّى دروسه كبقية الاميركيين في الولايات المتحدة. ناديه تشك، برضاه. سيحضر اليك حقائبك.

وخرجت، فبدت الحجرة غارقة في الهدوء من دون حضورها الحي المشع.

تهالكت ميراندا على السرير مرهقة ورمت بحذائها. احست بقدميها اكبر حجماً مما هما في الحقيقة. نظرت الى نفسها في المرآة وتعجبت كم هي باردة وجامدة. لباسها الأزرق البحري لم يزل كما

كان، وشعرها ناعم. وحدها دلائل الحر دمغت خديها المحتقنين، وبدت عيناها اكثر اتساعاً. خلعت جاربيها. كانت بشرة ساقيها بيضاءً. وتذكرت خوانيتا، وكانت سعيدة ان هذه فتية ولطيفة. لطفها محا الى حد ما الخيبة التي شعرت بها حين عرفت ان مرافقها من المطار كان روجر غالنت..

وتساءلت عما دفعها الى ان تفصح عن خطط الترانسمارين لشراء عقارات غالنت وتنتقد بلا تحفظ شخصاً لم تكن تعرفه، هذا الشخص الذي رافقها وكان هو موضوع حديثها بالذات؟ كان عليها ان تتذكر ان السكرتيرة يجب الا تثرثر للجميع عن اعمال رئيسها. لكن غالنت كان لطيفاً الى درجة كان من الصعب عليها عدم التحدث اليه.

«هذا ليس عذراً، يا ميراندا»، هكذا تخيلت ميراندا العمة كلارا تحذرها من التحدث الى الغرباء. لكنها عصت هذه النصيحة وانخدعت.

راجعت القضية بدقة ورأت ان روجر ربما كان غاضباً لأن السيد انغرام خدعه كذلك، وهي لا توافق على حيل رئيسها في اقناع مؤلف موسيقي بالالتحاق بنزهة الاستجمام البحرية للبحث في مستقبل عقارات غالنت. قبل برهة وجيزة كانت تدافع عن السيد انغرام قائلة انه لا يلجأ الى اساليب غير اخلاقية. كم كانت غبية بالنسبة الى روجر الذي عرف تماماً مدى احتيال السيد انغرام.

سمعت طرقاً على الباب فانتصبت بسرعة على قدميها. فتحت الباب، فاذا بشاب من عمرها كبير وقوي يرتدي زياً رياضياً قصيراً، شعره طويل اسود، داكن، عيناه على شيء من الزرقة الناعسة.

حقيبتان عند قدميه. تنهد ومد يده الكبيرة.

- انا تشك غالنت. طلبت مني خوانيتا احضار حقيبتيك. سعيد للتعرف اليك.

سلمت عليه ميراندا وابتسمت.

- شكراً. هل لك ان تضعهما هناك؟

وضعهما بسهولة قرب الخزانة وعاد لينظر اليها ثانية.

- آمل ان تتعشي معنا الليلة. يسعدني انك لست متوسطة العمر او متزوجة كالأخريات هنا. بدأت اشعر اني اخطأت في القدوم الى هنا، لكن حضورك وروجر جعل الوضع اكثر حيوية. دوغ ينعش الجو دائماً حتى ولو على حساب والدي. انه رائع، ولكن خبيث. اتسبحين؟

- قليلاً.

- عظيم. ربما نسبح او نغطس. هناك الكثير من التجهيزات على اليخت وقارب شراعي صغير. آمل في ان اراك ثانية.

تمتم ذلك وهو يخرج.

فتحت ميراندا احدى حقيبتيها واخذت مناشفها وقميص النوم. كانت ترغب في الاستحمام والنوم بين اغطية خفيفة في غرفة مكيفة الهواء.

نامت عميقاً، ورأت حلماً خلاصته انها كانت تسبح في مياه خضراء دافئة تدغدغ بشرتها كما يفعل الحرير. وبعد هنيهة ادركت انها كانت تحت الماء تهبط وتعلو كسمكة. كانت رغبتها كبيرة في الخروج من مسالك المرجان الضيقة الى سطح الماء لكن شيئاً ما كان يمسك بقدمها، وكلما صارعت، كلما علقت به اكثر. تطلعت الى الوراء فرأت عشبة بحرية بنية غامقة. وحين حدقت فيها صارت

المشبة شعرة، كان احدهم يسبح الى جانبها واضعاً قناعاً بحيث انها لم تتمكن من رؤية عينيه او وجهه. وارتفع صوت:

ـ انت ممسوكة الآن ، لا مهرب. قبضت على اوهام فالنت، يا ميراندا.

كان صوت يردد اسمها مرة بعد اخرى. فتحت عينيها فاذا بمن ينحني فوقها. شعر رمادي اجعد، حلق الماس في الأذنين وعنق مستدير ممتلىء، ملامح ذات ابتسامة متألقة. انها زلدا انغرام.

ـ حان الوقت يا ميراندا. سنتعشى معاً على الشاطىء، ودوغ يرغب في لقائك قبل الذهاب.

جلست ميراندا واحدى قدميها ملتفة بغطاء ، وهذا ما جعلها تحس في الحلم بالقيد حول رسغها. تطلعت بصعوبة في الضوء الصادر عن لمبة موضوعة على الخزانة الصغيرة. ومن ثم الى النوافذ الضيقة ذات الستائر البيضاء والزرقاء. لا شك ان الظلام مخيم في الخارج. وادركت انها كانت تحلم.

ـ كم الساعة؟

ـ السابعة والنصف. آمل ان تكوني احسن حالاً بعد هذه الاغفاءة القصيرة. حسناً فعلت بنومك هذا بعد تلك الرحلة الطويلة. عسى ان تكوني قد جلبت ما ترتديه للعشاء خارجاً. هل لديك رداء طويل؟

كانت زلدا ترتدي لباساً اسود ناعماً اكمامه طويلة وطوقه ضيق، مما جعلها تبدو اكثر رشاقة.

ـ لدي تنورة طويلة وبلوزة.

اجابت ميراندا:

ـ عظيم. والآن البسي بسرعة وانضمي الى مكتب دوغ، ومعك اشرطة التسجيل وملف المراسلة. لن يبقيك طويلاً، سيضعك في الصورة بالنسبة الى المدعوين. سنهتم بالوقت. تصوري رقص الفلامنغو، ونحن لسنا اسباناً!

ولما خرجت السيدة انغرام ارتدت ميراندا التنورة الطويلة ذات الزرقة العميقة، وبلوزة بيضاء كانت قد اشترتها لمناسبات كهذه. مشطت شعرها وتبرجت، حملت الاشرطة وسجلات الرسائل التي اتت بها وتوجهت الى حجرة دوغ انغرام التي اتخذ منها، في نفس الوقت، مكتباً له في اثناء الرحلة.

بدا طويلاً وانيقاً، اكثر جمالاً في سترته البيضاء وقميصه الابيض، وربطة عنق وبنطال قاتمين. واظهر لباسه الرسمي قامته المستقيمة وشعره الذي غزا اطرافه الشيب. والنهار الذي قضاه في الشمس لوح وجهه فبرز لون عينيه الرمادي، وجعله يبدو الخمسين من عمره.

ـ اني سعيد برؤيتك يا ميراندا.

حياها ببرودة:

ـ ضعي الاشرطة هناك. آسف اني لم اكن هنا حين وصلت مع روجر غالنت. ظننت انه آت بطائرة قد تتأخر من نيويورك. اردت ان اكون هنا لأشرح له سبب وجود اكثر اقربائه وسبب الرحلة البحرية. في اي حال، من الحديث القصير الذي كان لك معه اشعر بانك قمت بهذا الأمر قبل الذهاب الى العشاء.

كان هناك صمت مخيف بينما كانت عيناه القاسيتان تخترقان عينيها. رطبت ميراندا شفتيها وقالت بنعومة:

ـ كان غاضباً.

ـ طبعاً، ولكن يبدو انه تقبل الامر من فتاة جميلة مثلك احسن مما

لو كان عرفه مني. كان على ما يرام في المقصف وبدا سعيداً لرؤية السيدة دون غالنت. كل شيء على ما يرام ولكن كوني حذرة في ما تقولين لابناء غالنت. يجب معاملتهم بلباقة فائقة.

- آسفة، يا سيد انغرام...

وتوقفت ميراندا عن الكلام حين رفع يده مبتسماً.

- لا اعذار ولا شروحات هذه المرة، يا ميراندا. اعرف انك لم تكوني على علم بهوية مرافقك. ممكن تحويل هذا الخطأ البسيط الى مصلحتنا.

- وكيف؟

- من الحديث القصير معه شعرت إنك حزت اعجابه، لهذا اتمنى لو تستغلين اهتمامه بك كي نتمكن من اقناعه ببيع حصته من الارض.

توقف السيد انغرام متأملاً، وتابع يقول:

- انه ليس بالانسان السهل، كما اكتشفت في نيويورك. فلو اني اعلنت مسبقاً كل شيء لما قرر المجيء الى هنا. على اي حال، ممكن ان يكون اكثر طاعة للمرأة. والآن بما انك هنا مع بقية العائلة المهتمة ليس فقط برؤية فورتوغا ملجأ للراحة، بل بالحصول على المال ايضاً، ارجو ان يترك برجه العاجي ويقبل عرضنا لشراء العقار.

رغم انها دهشت لفكرة اثارة اهتمام رجل بها لأجل غاية معينة هو لا يريدها، اجابت ميراندا بشيء من الشعور بالواجب:

- نعم سيد انغرام، ربما كان من المفيد لو اعرف القليل عن العقار موضوع الصفقة. لا اعرف من يملك ماذا.

- اوافقك الرأي. من الافضل ان تطلعي على المشروع بكل

تفاصيله، عندئذ تكون الاخطاء اقل.

ورغم ابتسامته الحلوة، شعرت ميراندا بالحمرة في خديها.

تابع السيد انغرام:

ـ بالنسبة الى طومس انغرام اللئيم فان لفورتوغا تاريخاً مهماً ورومانسياً. سكنها بادىء الأمر اسباني من عائلة فورتوغا ثم جاءها قرصان يدعى ريتشارد غالنت احبها ورأى فيها واقع احلامه تماماً كما احبتها ابنة الاسباني. فاجتاحها وذبح الاسباني وتزوج ابنته، وسمى الجزيرة غالنت فانسي.

تذكرت ميراندا حلمها الأخير فجأة، فرمقها بنظرة غريبة، وسألها:

ـ هل هناك من شيء؟

ـ كلا. كل ما في الأمر ان الاسم غريب.

ـ لكنه اسم وصفي. (قال السيد انغرام) وحتى نختصر القصة، عادت الجزيرة في السنوات الاخيرة الى اسمها الاسباني الاصلي، واسم غالنت فانسي اطلق على الارض التي يملكها ابن القرصان الاكبر، بينما اطلق اسم غالنت فولي على ارض الابن الاصغر. وبناء على اتفاق قديم، ما من قطعة يمكن بيعها من دون الاخرى. وكما هو واضح، ان السيد طومسن غالنت صاحب غالنت فولي، والسيد روجر غالنت صاحب الفانسي وبيت الأخير في بقعة رائعة وهو كان مشغولاً الى فترة قريبة. من الممكن ان يكون اساساً عظيماً لفندق جديد.

ـ اعتقد انه لا يزال مشغولاً. (قالت ميراندا بهدوء).

ـ وكيف عرفت؟ (سألها بنظرة تقدير).

ـ السيد روجر ذكر شيئاً من هذا لابنة عمه. اشار الى سيدة

تدعى مارني، وهو يظن انها يجب ان تشاركه في المفاوضات المتعلقة بصفقة البيع.

- اعتقد ان لك اذناً يقظة، فأنت تلتقطين كلمات عابرة تفيدنا. حاولي التعرف اكثر الى شخصية مارني. والآن يجب الا نترك الآخرين ينتظرون. تذكري فقط ما قلته لك واعملي ما تقدرين عليه.

- سأقوم بالمستطاع.

- انا متأكد من هذا، ولهذا السبب بعثت في طلبك.

نشر الليل ستاراً مخملياً اسود عبر السماء مرصعاً بنجوم ماسية مضيئة. وفي المرفأ تلألأت مراكب النزهات بالأضواء المعكوسة في المياه القاتمة فبدت نجوماً في البحر. وكان الهواء دافئاً وعاطراً.

بدا الجو لميراندا ساحراً، واحست ان معنوياتها مرتفعة بالنسبة الى ما سيستجد وهي تمشي في شوارع بلدة سان خوان القديمة الى المطعم حيث العشاء.

كان الشارع ضيقاً تمتد على جانبيه اسوار اسبانية عالية. ومن خلال ابواب احدى الحانات المفتوحة ذات القناطر لمحت زجاجات على الرفوف تلمع، وضوءاً على وجوه الرجال، وهمهمة ناعمة تصحبها انغام قيثارة حارة.

قطعت شارعاً اصطفت على جانبيه محلات مضيئة، كان يعج بسيارات كبيرة تتحرك ببطء وكل سيارة تقل بورتوريكيين ساعين وراء المتعة. ولاحظت الى اليسار مجمعاً ضخماً يشع انواراً، واشجاراً ناعمة ترمي بظلها الرقيق على حجر اجرد، وفي الوسط شاب على مسرح خشبي يخطب في جماعة من الشبان الضاجين.

المطعم الذي اختاره دوغ انغرام كان جوه مقنطاً ومرحباً، ديكوره اسباني الطابع، جدرانه قاتمة الحمرة وخشبه داكن، اما سقفه فواطيء. بدا صاحب المطعم حسن المظهر يرتدي بذلة رمادية غملية وكميصاً غزماً وربطة عنق. حياهم فرداً فرداً وقادهم الى المائدة.

لحسن حظها جلست ميراندا الى نفس المائدة التي جلست اليها خوانيتا ورامون وتشك. والى المائدة الثانية جلس السيد انغرام وزوجته، وطومس غالنت وزوجته دون التي بدت غارقة في انواع الحلى المختلفة من فضة وعقيق تتوهج في تلك الحجرة الخافتة الضوء.

والى جانب دون جلس روجر، وبدا هذه المرة غير ذلك الشاب اللطيف في بنطلونه الجينز الأزرق الذي رافق ميراندا من المطار تلك الظهيرة. انه الآن جذاب، انيق ببذلته الطحينية الخفيفة وقميصه الأسود وربطة عنقه الفاتحة. بدا صعب المنال بالنسبة الى ميراندا، واحست بشيء من الانكماش والخوف من المهمة التي اوكلها اليها السيد انغرام. كيف سيكون في استطاعة فتاة ريفية بسيطة مثلها تشجيع امثال روجر غالنت الذي كان في دخوله مكاناً ما، او في جلوسه الى المائدة يثير فضول النساء واهتمامهن البالغ؟

كان رامون، زوج خوانيتا، طبيب المعشر، قصيراً ونحيلاً، اسود الشعر متموج، اسود العينين وصاحب ابتسامة خاطفة تحت شاربين اسودين متهدلين. اخبر ميراندا انه من عشاق الحفلات، وانه مصمم على الاستمتاع بهذه الحفلة.

قال لها مفاخراً ان «بورتوريكو بمثابة قطعة حلوى على مائدة الجزر الكاريبية. ما عندنا عالمي، وهذا بفضل السفن الاسبانية التي اعتادت الابحار الى هنا. ما من احد كان يأتي هنا دون ان يحضر معه نباتات من انحاء الامبراطورية الاسبانية. ونتيجة لهذا نحن نزدرع

البرتقال الاسباني، الموز الافريقي، اناناس البحر الجنوبي وقصب السكر الهندي».

أكلت ميراندا شبعها، وقد اقنعها كلامه، من الحساء المكون من البندورة والباذنجان. وفي اثناء تناول الطعام كانت القيثارات تعزف، اضافة الى موسيقى اسبانية ذات تراث قديم، انغاماً من اميركا اللاتينية.

حين انتهوا من الطعام خرجوا الى الشوارع الضيقة يقصدون نادياً ليلياً. وبدا لها النادي من الخارج كأحدى الحانات الصغيرة التي مرت بها ميراندا في طريقها الى المطعم. لكنهم عبروا صالة الحانة الصغيرة ودخلوا حجرة داخلية محجوبة بستار مخملي احمر، جدرانها بيضاء، قناطر تؤدي من فسحة الى اخرى، وعلى كل مائدة شموع متفرقة وفي الوسط كان الضوء مركزاً على راقص يتحرك ببطء وكعبا حذائه يضربان الأرض بايقاع، وهو يؤدي رقصة على المسرح.

اخذت ميراندا بالراقص لفترة غير قصيرة. كان بنطلونه ضيقاً، قميصه اسود طويل الأكمام، وقبعته سوداء مائلة على وجه اسمر ضامر. كانت مسحورة برقصه ولم تفارق نظراتها خطواته الا بعد وقت طويل. ثم شرد بصيرها باحثة عن روجر، تتساءل في الوقت نفسه عن حقيقة شعوره لعودته الى المكان الذي فيه كتب موسيقى الاغنية التي جلبت له ولصديقه كيت ولیامز النجاح.

كان يجلس الى مائدة اخرى مسنداً ظهره الى ظهر كرسيه من دون ان يشاهد الراقص، اذ كان يحدق فيها. وفي نور الشموع ظهرت تقاسيم وجهه الحقيقية وفي عينيه شعلتان ترقصان.

لم تتمكن من اخفاء احتقان وجهها حيال نظراته الآسرة، وبدا جو الحجرة الكهفية حولها خانقاً رغم الهواء المكيف. عزف القيثار

المستمر وطقطقة اقدام الراقص اثارا غليان دمها وزادا من سرعة نبضها. كانت تعي بوضوح ما يدور حولها. . . رائحة دخان السكائر الغنية ممتزجة بعطور قوية من بعض النساء، وبشرة شديدة البياض او سمراء تعكسها البسة داكنة او متنوعة الألوان، واحلام استوائية تراود زبائن المكان تعلنها رفة عين او توتّر عصب. الا ان الشيء المميز الذي وعته اكثر من اي شيء اخر كان تحديق رجل فيها وخطوط فمه تبرزها ابتسامة جذابة.

ماذا حل بها؟ ما هذه المخلوقة التي يخفق قلبها ويتخضب خداها بسبب نظرة غريب اليها وابتسامته لها بطريقة مغرية؟

ربما السبب هو المكان، القيثارة، وهج الشموع، ايقاع الاقدام الراقصة والاحاسيس الكامنة. كل هذا ربما كان فوق طاقة فتاة مثلها نشأت في جو بارد تحكمه عمة عانس.

احست بالحنين الى برودة بيت العمة كلارا والى الحياة البسيطة معها. واحست بالعطش فتناولت كأسها التي كانت امامها، وكانت جرعة طويلة وباردة.

توقف الرقص فجأة، فعلا تصفيق حاد، مما جعل الراقص ينحني مرات عدة. رشفت ميراندا من عصير الفواكه اللذيذ متطلعة ثانية بطرف عينيها، ولكن هذه المرة خلسة، الى روجر الجالس الى مائدة مجاورة.

تملكها العجب، اذ كان مقعده خالياً، كذلك المقعد المجاور حيث كانت دون غالنت. يبدو انهما ذهبا حين كان التصفيق في ذروته وفي غفلة من الآخرين.

في الحقيقة، لم يلاحظ طومس غالنت غياب زوجته الا لدى مغادرتهم النادي الليلي الى الشوارع الضيقة حيث هيئات بشرية

كانت تتحرك على الشرفات. وسلالم بالت درجاتها تحت اضواء ضابية تقود من ابواب مشطورة الى البيوت المنتشرة.

قال تشك:

- بوب فقد صوابه، اسمعوه يرغي ويزبد.

وتنامت من الخلف زجرة طومس غالنت، وبلغة لا تحفظ فيها اتهم ابن عمه بسرقة زوجته.

قالت خوانيتا باصرار وهي مسرعة في الشارع تشد ميراندا معها:

- دعينا نبتعد عنه. لقد عرف ان دون سعروج معه انه هو دعاها الى ذلك، وقد فعل لازعاج والدي. يجب ان تعرفي، يا ميراندا، اننا كنا عائلة رائعة. انا واثقة من ذلك. جميعنا، تشك، ماري وانا طبيعيون. هذان الاثنان يتصرفان كقرصانين، واحدهما يسرق الآخر، انهما تائهان.

اسرعتا في الشارع، كانت عطاهما تحدث طقطقة على بلاط الرصيف غير السوي.

- يسرقان؟

قال رامون وقد لحق بهما حاضناً زوجته الغضبى يهدىء من روعها:

- من كان يسرق؟

- كنت اقصد ابي وروجر. انهما امثال عائلة غالنت القديمة، اي ابناء ذلك القرصان الذي يقال انه استعمر فورتونا.

- وماذا سرقا هذه المرة؟

سألها تشك الذي كان الى جانب ميراندا، التي بدت مندهشة حين طوق خصرها بطريقة غريبة:

- هذه المرة، هون.
ردت خوانيتا بحدة:
- وسابقاً كانت جوزفين.
- المعذرة، لكني لا افهم شيئاً.
قال رامون ضاحكاً:
- ومن هي جوزفين؟
- كانت موظفة عند ابي في فورتونغا. وقد ذكرت ماري...
فجأة، سكتت خوانيتا.
- هيا، ماذا قالت ماري؟ (سألها تشك بإلحاح).
تمتمت خوانيتا:
- آه، لا شيء، لا شيء مهماً، ربما هي على خطأ.
ثم بنبرة جديدة اضافت تقول:
- انظري، يا ميراندا، نحن عند بوابة كنيسة. اليست جميلة؟

كان اخر الشارع مقفلاً في وجه السيارات بواسطة سلسلة حديد امتدت بين حجرين قديمين على جانبي الطريق. ما وراء السلسلة قام برج ضخم ذو مدخل بشكل قنطرة، داخله مدهون بالأبيض وفي الطرف الآخر قنطرة ثانية حيث بوابة من الحديد، وفي رأس البرج قبة منحوتة في داخلها جرس. كانت البناية مضاءة بواسطة قناديل معلقة فوق الطريق واخرى قديمة برزت من جنبات الابنية. وفي بريق الضوء هذا تراءى لميراندا ان حجر البوابة القديمة الذهبي يتوهج بفخامة سماوية كبوابة النعيم.

ابتعدوا عن البوابة وساروا في شارع آخر مظلم متوجهين الى

الميناء.

ـ ومن هي مارني؟

سألت ميراندا تشك، وهي تتساءل عما يمكن ان يقوله جولو رآها الآن في سان خوان تتسكع في الأولى صباحاً مع شاب يطوق خصرها:

اجابها تشك:

ـ انها اخت روجر، واذا وصلنا الى فورتوغا في هذه الرحلة ستلتقينها، فهي تعيش في البيت المعروف بغالنت فانسي. انها في عزلة نوعاً ما لأنها عمياء.

بلغوا اسفل الهضبة وقطعوا الشارع العريض ووصلوا الى المرسى حيث المركب. في هذه الأثناء كانت سفينة الرحلات الاستجمامية تترك مرساها، المياه تندفع والآلات تهدر، وعلى متنها كان المسافرون يودعون سان خوان وهم في طريقهم الى الجزر.

ـ سنسافر عند الفجر.

قال تشك صاعداً وراء ميراندا الى اليخت.

ـ سمعت دوغ انغرام يقول انه يأمل في بلوغ سانت طومس غداً عند الظهيرة. نرجو ان تكون رحلة موفقة.

ومن طريقة دخولهم الحجرات الممتدة على جانبي المركب بدا الجميع على استعداد للانتظار حتى الفجر، الا ان ميراندا ادركها الارهاق فجأة في مفاصلها وبان تحت عينيها. وبدا ان قدرتها على الاستمتاع قد زالت. وعندما ناداها، اعتذرت والقت عليهم تحية المساء.

نهض تشك ليرافقها حتى باب حجرتها. وقبل ان تدخل مال اليها ملامساً خدها.

ـ اعتقد انك لم تتكيفي بعد يا ميراندا، ربما استغرق هذا يوماً او يومين بسبب الاختلاف في الوقت.

في تلك اللحظة تناهى اليهما صوت طومس غالنت وهو في طريقه الى حجرته حيث كانت زوجته في إنتظاره.

ـ كيف لي ان اعرف المكان الذي ذهبت اليه؟ التفت لأقول شيئاً، فاذا بك اختفيت، وهكذا ظننت انك رحت معه الى مكان ما طوال الليل. حسناً انا مخطىء.

انغلق الباب بعنف، وتحول صوت طومس من داخل حجرته الى زمجرة مخنوقة.

قال تشلك يخاطب ميراندا:

ـ انه ليس دائماً كذلك، انه يشعر بعدم الثقة حين يتعلق الأمر بزوجته دون. انها تصغره سناً وجذابة جداً، وفي استطاعة روجر، اذا ما اراد، ان يصير طريفاً في اكثر من معنى، وان كنت لا تعرفين معاني هذه الكلمة، اقترح عليك نبشها في القاموس قبل ان تستسلمي الى سحره القاتل. طاب مساؤك، يا ميراندا. ارجو ان نسبح معاً غداً.

نامت ميراندا الليل كله من دون حلم، حتى افاقت على ضربات آلات الديزل الرتيبة. بقيت مستلقية تنظر الى الضوء المعكوس على سقف الحجرة الأبيض محاولة ان تتذكر اين هي وما حدث.

تذكرت احداث اليوم السابق، وتلاحق في خيالها شريط الأوجه والمشاهد، فنهضت من فراشها بسرعة مما افقدها توازنها. كان اليخت مبحراً، حركته خفيفة الى درجة لا تسبب دواراً.

ومن خلال الكوة رأت زرقة البحر العميقة بتموجاته الخفيفة وقد ذهّبتها الشمس، وفوقها تقوست السماء الصافية ذات الزرقة

الشاحبة.

تحممت بسرعة، يجب الا تضيع لحظة من هذه المغامرة، لبست ثيابها بلمح البصر وكانت الساعة السابعة. كان السيد انغرام قال لها انه لن يحتاج اليها صباحاً، احست انها حرة بجميع ساعات لتفعل ما تشاء. وقررت ان تصعد الى اعلى مكان على سطح اليخت لتكتشف ما في وسعها رؤيته.

ومع ان رائحة الفطور كانت تعبق في الهواء فلم يكن من احد على السطح. دخلت ميراندا باباً، وممه الى السطح. هبت نسمة الصباح رافعة تنورتها الى اعلى، مما جعلها تتمنى لو ارتدت بنطلوناً. وحتى لا تضيع الوقت ضمتها الى خصرها وصعدت الدرج الى اعلى السطح.

اقتربت من حافة المركب قدر المستطاع واتكأت على الدرابزين وبانت لها الجزر في المسافة الزرقاء. الا انها لم تستطع التحديق طويلاً لانعكاس وهج الشمس في عينيها. ولأنها نسيت نظارتيها اضطرت الى ان تظلل عينيها بيديها، وللحال رفع الهواء تنورتها الخفيفة.

- يبدو ان لديك مشاكل هذا الصباح.

قال صوت يتخلله المزاح.

وحين التفتت الى الخلف رأت روجر متكئاً الى جانبها على الدرابزين. وكما كان ممكناً ان تتكهن كان يرتدي ما يناسب الطقس.. . بنطلوناً ابيض مشدود الخصر، قميصاً قطنياً ازرق مفتوح العنق وحذاء رياضياً خفيفاً. كان شعره المسرح نحاسي البريق وعلى عينيه نظارتان شمسيتان.

- لم اتصور ان يكون الهواء نشطاً بهذا الشكل. لو مشرفاً الى هذه

الدرجة والصبح في لحظاته الأولى، يجب ان تلبسي قبعة، ميراندا.

قالت له متلعثمة:

- آه نسيت ذلك. لم احضر معي واحدة.

- اذن سأشتري لك واحدة في سانت طومس. (اجابها مبتسماً) سوف لن ندع شمسنا القوية تؤذي هذه القاطيع الانكليزية. هل صفحت عن الذي حدث البارحة؟

- آه، نعم.

قالت ميراندا بعفوية. فهي دائماً كانت غفورة، اما هو فقد بدا طيباً ذلك الصباح الباكر الى درجة انها نسيت تعليمات السيد انغرام وتحذير تشك. ردت بطيبتها المعهودة:

- وشكراً لشرحك القضية للسيد انغرام، لو انك غادرت قبل عودته من الشاطىء ذلك اليوم لكنت فقدت وظيفتي.

اجابها بتأمل:

- لا اريد ان اكون سبب ذلك.

- اخشى ان يكون السيد انغرام قد خدعك. اني آسفة لذلك.

قالت هذا بتردد، اما هو فالتفت اليها بحدة. ثم ابتسم ابتسامة اظهرت غمازتين في خديه الناحلين بينما الريح ترفع شعره الكستنائي عن جبينه وهو يتكىء على الدرابزين يواجهها.

- هذا لطف منك يا ميراندا، هل لي ان افهم من هذه الملاحظة ان اساليب دعوته لي الى القدوم الى اليخت لمقابلة ابناء عمي لم تلاق استحسانك؟

- طبعاً، لأن احداً لم يستشرني في ذلك. (اجابته برزانة عمقت ابتسامته). ولكن حين عرفت انه خدعك صرت منزعجة. اذ لا

خبرة لي في صفقات كبيرة كهذه. انها المرة الأولى التي اشتغل فيها سكرتيرة. لدي الكثير لاتعلم.

ـ دعيني اساعدك. كل شيء مسموح في الحب والحرب، وانت يجب ان تعتبري اعمال الشركات، كشركتكم مثلاً، نوعاً من الصراع. صراع من اجل القوة.

توقف قليلاً، واضاف متنهداً:

ـ وماذا تعرفين عن الحب؟ ام ان علي شرحه لك؟

ـ قليلاً. (اجابته ميراندا) الا اني لا اتفق معك على انه كالحروب.

ـ بالنسبة الينا هو كذلك.

قالها متمتماً، وللحال تذكرت الامسية السابقة حين غادر النادي الليلي مصطحباً زوجة ابن عمه. وقال معلقاً بصراحة تبعث على الدهشة:

ـ انت لا تبدين عاشقة او انك عشقت في حياتك، ميراندا.

ـ طبعاً، اعرف الحب، وحال رجوعي الى انكلترا سأتزوج.

ـ من شاب تعرفت اليه من سنين، ذي اخلاق، يحافظ عليك ويحميك بقية العمر. (قالها بجفاف) انه يستحق التهنئة لاختياره اياك.

ابتعد قليلاً عن الدرابزين وراح يتطلع الى البحر. احست تغيراً في نبرته، ورمقته بنظرة قلقة. كان هناك ظل من المرارة عند طرفي فمه. بدا مستغرقاً وافكاره مأخوذة الى مدارك لم تدركها نفسها يوماً، وبدا وهو في هذه الحال غير سعيد.

سألته بعصبية عساها تخترق الحاجز الذي اقامه حوله:

ـ هل البحر دائماً بهذه الزرقة؟
اجابها بغموض:
ـ تقريباً.
وساد الصمت، الصمت الذي صار اكثر بروزاً بسبب صوت محرك اليخت الذي كان يقترب من جزيرة. لم تعد الزرقة ظاهرة، بل سلسلة من تلال منحنية غطتها خضرة كثيفة.
سألته ميراندا واعصابها لا تزال مشدودة:
ـ هل تلك سانت طومس؟
حاول رفيقها قدر المستطاع ازالة الجو الجدي، فالتفت اليها ثانية.
ـ انها كذلك. وهي كانت مقصد المكتشفين امثال بلاكبيرد وهنري مورغان. في الحقيقة، احدى هذه التلال كانت تدعى تلة بلاكبيرد لأنه بنى عليها برج مراقبة. ويقال ان السيد فرانسيس دريك جاء الى هنا، كذلك يقال انه هو الذي اعطى الجزر العذراء اسماءها تيمناً باليزابيت الأولى التي كانت عذراء. وثمة رواية ثانية تقول ان كولومبوس هو الذي اكتشفها واعطاها هذا الاسم. واخيراً احتل الدانمركيون بعض هذه الجزر، ولهذا السبب تعثرين على اسماء دانمركية واسبانية وانكليزية وفرنسية. هل تناولت الفطور؟
ـ كلا.
ـ دعينا نفطر معاً اذن، فاحدثك باسهاب عن قراصنة الانكليز الاشرار، وانت بدورك يمكنك ان تخبريني...
وهنا توقف وبخبث اضاف:
ـ تخبرينني ما تعرفين عن مشاريع الترانسمارين.
في الأيام التي تلت، وحتى بعد مضي سنوات، لم تنس ميراندا ذاك الصباح في البحر الكاريبي حين فطرت مع روجر على سطح

اليخت المندفع في المياه الزرقاء المتلألئة.

جلسا الى مائدة صغيرة تحت مظلة خارج الصالون الرئيسي حيث كان في خدمتها بيلي الذي بدا في غاية الجاذبية ببشرته السمراء تحت قميص بيضاء حاكت بياض اسنانه. وفي اثناء الطعام لم يتحدثا عن القراصنة او الترانسمارين، بل واحدهما عن الآخر. هو عرف كل شيء عن العمة كلارا ودوروتي وقليلاً عن جو. وهي بدورها عرفت كل شيء عن جدته التي رحلت من اسكتلندا الى ترينيداد كي تدرس الموسيقى لفئة من البنات، حيث التقت روبرت غالنت وتزوجته. كانت تلك فيونا، وهي التي اكتشفت في حفيدها موهبة الفن واهدته بيانو، وعليه، كما يذكر، بدأت اولى مؤلفاته الموسيقية.

وحين انتهيا من الطعام كان اليخت يدخل خليجاً مغلقاً تقريباً. ولأول مرة وقعت عينا ميراندا على مدينة شارلوت امالي المدينة الرئيسية في سانت طومس تيمناً بملكة دانمركية.

ربط اليخت الى الرصيف المواجه للبلدة من جهة المرفأ الشمالية. كانت هنالك يخوت اخرى. تركت ميراندا اليخت بصحبة روجر، وخلال دقائق معدودة كانا في ممر جميل بين بنايتين يؤدي الى الشارع التجاري. كان للممر تحت ظلال النخيل واشجار اخرى استوائية وعلى الجانبين كانت الدكاكين ببضاعتها المتنوعة، من القطع الفنية المصنوعة من قبل فنانين محليين الى الأعمال اليدوية المستوردة.

بدت بلدة ناشطة كأية بلدة فيها مرفأ، مليئة بالبضاعة من بلدان العالم. تاريخها ظاهر في هندستها، بيوتها ذات النموذج الدانمركي ويميزها طابع اسباني. هنا وهناك كانت اشارة الى نموذج من الاستعمار الفرنسي. اما البنايات الجديدة فقد كانت اميركية الهندسة.

وكما وعدها روجر، فقد اصطحبها الى محل تجاري كبير يحمل اسماً دائمركياً عرضت فيه انواع فاخرة من الثياب بطريقة مغرية. اختار لها قبعة ودفع ثمنها. كانت قبعة قش مفتوحة بيضاء اطارها عريض. وحين سألته عن ثمنها بدا كأنه لم يسمعها. ثم اصطحبها الى ممر آخر وارف الظلال وجلسا في مقهى هناك.

بعد فترة زارا متاجر كثيرة واشترت حاجيات السباحة، ثم تجولا في الشارع الرئيسي المليء بسياح يبحثون عن تذكارات يشترونها للعودة بها الى بلادهم.

توقفت ميراندا عند زاوية تتأمل مجموعة من الاصداف الكبيرة تعرضها بائعة في الشارع. كانت تلك صبية شعرها الطويل الاشقر يعكس سمرة وجهها الذي لوحته الشمس. واوضحت لميراندا انها غطست مع اخيها وراء الاصداف الجميلة فأكلا لحمها. ثم نظفا داخلها وعقماها للبيع ودهشت ميراندا حين بادر روجر الى شراء صدفة وقدمها اليها.

وهنا قالت ميراندا بخجل بينما عيناها على الصدفة الزهرية التي بين يديها:

ـ يجب الا تمنحني الهدايا. ارجو ان تدعني ادفع ثمن هذه وثمن القبعة.

ـ جرحت شعوري، لماذا لا يجوز ان اهديك ما تحبين؟ انها ليست رشاوى، فانا لا اريد شيئاً في المقابل.

وقفا على طرف رصيف وجهاً لوجه والتوتر باد في محياهما رغم الشمس الساطعة، والألوان اللامعة وجمهرة السياح المرحة. عادت الذاكرة بميراندا الى النادي الليلي في سان خوان حيث كان يبتسم لها باغراء. انه الآن لا يبتسم، فمه عابس، وتمنت لو ترى عينيه:

ـ لم يكن لائقاً قول ذلك.

قالت له في هدوء، كان صوتها يرتجف قليلاً، وعيناها في ظل قبعتها البيضاء العريضة واسعتين تتألمان.

ـ كلا، ليس الأمر كذلك ولكنك تعتبرين الهدايا هذه بمثابة رشوة، اليس كذلك؟ نسيت ان البريطانيات لا يقبلن هدايا من الرجال.

وفجأة اظهر شيئاً من الشك فعضّ شفته السفلى باسنانه البيضاء. غير ان هذا الشك لم يطل، اذ تبسم لها برقة.

ـ ارجوك يا ميراندا ان تقبلي هذه الصدفة، لأن وجودي معك هذا الصباح اسعدني. رأيت هذه البلدة خلال عينيك، فاذا بها مكان ساحر وجميل بدلاً من كونها سوقاً تجارية كما اعرفها!

ناولها الصدفة ثانية فتوهجت بنور معكوس، مما جعل جمالها الطبيعي مصدر فرح ابدي. وقد عرفت ميراندا انها كلما تطلعت الى هذه الصدفة في المستقبل ستذكر الصباح الذي امضته مع روجر في بلدة شارلوت امالي.

ـ شكراً، انك لطيف جداً.

قالت له هذا والتلون في خديها ينافس تلون الصدفة.

ـ لا، لست لطيفاً، لا تنسي هذا. (قال بخشونة) اعتقد انه من الأحسن العودة الى اليخت. اظن ان هناك نية في الخروج بعد الظهيرة الى الفندق الجديد الذي تبنيه الترانسمارين على الجانب الآخر من الجزيرة. سوف نتنزه في اليخت ونرسو في الخليج. سوف نبحر بمحاذاة الشاطيء لمشاهدة البناء وفخامة الهندسة والتسهيلات الفائقة في المتجع الذي تقدمه الترانسمارين الى العالم كله.

كان التهكم في صوته يحرجها، كان يتهجم على ما تعتبره صحيحاً

في الشركة التي تعمل لها، ولسبب ما كان يكره المؤسسات الكبيرة، ولو تبع شعوره لكان سافر البارحة بعد الظهر حين اكتشف السبب الحقيقي وراء الرحلة البحرية، غير انه فضل البقاء. لماذا؟ كانت متواضعة لدرجة انها لم تفكر انه بقي لمساعدتها في الخروج من وضع صعب. فهل بقي لأنه التقى زوجة عمه ورغب في احياء علاقة ماضية؟ او هل كان لديه سبب اعمق؟

وحين وصلا كان اليخت جاهزاً للابحار. صعد كل من روجر وميراندا الى السطح المشمس حيث وجدا دون وتشك يتمتعان برشف شرابهما قبيل الغداء.

سألها تشك متقدماً صوب ميراندا ومتطلعاً اليها بشوق، ومن ثم الى روجر بغضب:

ـ اين وصلتما؟

ـ كان عليك النهوض ابكر. (قال له روجر متهكماً) لكنت عندئذ صحبتها الى السوق.

مر بهما الى المقصف حيث كانت دون مسترخية على كرسي تشرب من كوب عصير مثلج. كانت ترتدي معطفاً بحرياً طويلاً من دون اكمام نسج من خيوط مجدولة، ومن خلال فتحاته كانت بشرتها الناعمة النحاسية تلمع بتحد.

سألها روجر، وهو يقف خلف المقصف:

ـ ماذا تريدين ان تشربي، ميراندا؟

اجابته وهي على احدى الكراسي المريحة:

ـ شراب يطفىء العطش.

كانت سعيدة لعودتها الى اليخت المبرد لأن حرارة النهار اتعبتها.

تدخلت دون:

ـ جربي هذا. انه عصير الموز مخلوطاً بالأناناس.

قال روجر بعصبية:

ـ ليست هذه الطريقة الفضلى للشرب. أين طوم؟ نائم منذ البارحة؟

بدا روجر في تلك اللحظة شخصاً اخر سطحياً، صوته عنيف، عيناه ضيقتان حادتان، فمه قاس. كانت ميراندا تحدق فيه مدهوشة للتبدل المفاجيء في سلوك فارسها اللائق صباحاً.

ـ هل كان مجنوناً الليل الفائت؟ (تنهدت دون) كان عليّ عدم الذهاب معك يا روجر.

رد عليها وهو مشغول بزجاجات عصير الفواكه:

ـ تأسفين الآن؟

ـ لا، لكن اندهشت لاعتراضه على ذهابي معك. عادة هو لا يهتم حين اروح مع آخر.

سألها تشك:

ـ اين رحتما على كل حال؟

تمتمت دون متحدية وهي تنفث دخان سيكارتها في اتجاهه:

ـ هذا سر.

ـ رحنا الى حانة اخرى في سان خوان القديمة، كي اتحاشى الضوء الذي كان بينتز مزمعاً ان يسلطه علي. هذا شرابك يا ميراندا. انه خاص ليطفىء العطش.

قدم اليها الشراب مبتسماً فشكرته. وراح يتكىء على المقصف قريباً من دون.

قالت له دون بالحاح:

ـ روجر، يجب ان اكلمك على انفراد.
ـ ليس قبل الغداء. كما اني ارفض الحديث اطلاقاً حول غالنت فانسي.
سألته دون متأففة:
ـ لماذا لا توافق على البيع؟
ـ لأنها بيت مارني على رغم انها ملك لي بحسب القانون.
ـ ولكن يمكنها العيش في مكان آخر. (قالت له باصرار متجاهلة رغبته في عدم البحث في الموضوع) يمكنها السكن في اي مكان. انها عمياء، ولا فرق عندها اين تعيش.
امتعضت ميراندا من حديث دون اللامبالي وتطلعت الى روجر لترى ردة فعله. فبدا هذا غير متأثر لكلامها سوى تقطيبة خفيفة بين حاجبيه.
اجاب ببرودة:
ـ هناك فرق كبير. مارني تعرف الفانسي وتحبها. اهل الجزيرة يعرفونها ويحبونها. هناك فرق كبير للأعمى ان يحس انه محاط بأشياء واناس مألوفين. فلو عاشت في اي مكان اخر لذبلت وماتت.
صوته البارد ارتجف قليلاً واضاف بنبرة خفيضة:
ـ عندئذ سيكون هذا، كما عماها، حملاً ثقيلاً على ضميري.
صرخت دون بغضب:
ـ ولكن طوم في حاجة الى المال، وانت تعرف انه لا يقدر على بيع الفولي دون الفانسي.
ـ هذا من سوء حظ طوم. الم يخطر في باله ان هناك آخرين تجب استشارتهم قبل بيع اي شيء الى الترانسمارين؟ كيف يعرف ما يريده اهل فورتوغا؟ ولا مرة فكر بهم كل حياته الانانية الكسولة.

صار صوت روجر اكثر برودة، بارداً كالجليد. ولو انه صادف في تلك اللحظة دخول غريب لاعتقد انه يكره ابن عمه.

ـ هل هو متأكد انهم يريدون تنمية الجزيرة كسواها من الجزر؟ وهل يعرف ان لا علاقة لأوبري فينسنت وسام ويليامز بالموضوع؟

ـ من المؤكد ان اي شيء احسن من التعفن بين اشجار الموز وقصب السكر. (اجابته دون بانفعال) آه، كل اهالي الجزر من طينة واحدة، رومانسيون يعيشون في الماضي. وانت بالذات لا تقل انانية عن طوم. منذ متى تهتم بالجزيرة؟

اجابها بهدوء:

ـ صحيح اني لم افعل سوى القليل، ولكن لن ادع ترانسمارين تشتريها.

ـ انت لا تريد ان تبيعها فقط حتى تقهر طوم. انك لم تفعل شيئاً سوى التنعم بعائداتك منذ ان الفت موسيقى تلك الاغنية. كذلك كيت ويليامز لم يقم بأي شيء، لهذا لا اظن ان عائلة ويليامز ستتأثر كثيراً.

ـ من المؤسف ان طوم لن يتزوج المرأة التي تناسب مدخوله (قال روجر بصوت ناعم رغم اللمعان الخطر في عينيه) لماذا عليّ ان ابيع بيت مارني حتى تلبسي جلد النمس يا دون؟ لماذا؟

وقفت دون برهة. رمت ما تبقى من شرابها على روجر الذي عرف مسبقاً ما في نيتها، فتحاشى محتوى كوبها واندلق عصير الفاكهة على الارض من دون ان يصيبه.

صرخت في وجهه:

ـ اكرهك، يا روجر غالنت، اكرهك! اتسمع؟

ـ اسمعي، كل واحد على هذا اليخت يسمع. اما قلت لك اني لا

اريد البحث في الموضوع معك؟ لما لا تنسيه في اثناء هذه النزهة، فنتمتع بها؟

تطلع الى ميراندا منفرج الاسارير. اخذت ميرانـدا بهذا الانفجار، انها غير معتادة على رؤ ية تصرف عنيف غير ملجوم كهذا.

خرجت دون وهي تصب لعناتها في حين التفت روجر الى تشك وسأله:

ـ لماذا طوم في ضائقة مادية؟

ـ حسناً، لقد اصبت الهدف باشارتك الى جلد النمس (اجابه تشك بانزعاج) كلفته دون مصاريف باهظة، كذلك هو يدفع للوالدة معيشتها.

ـ دائماً كان طماعاً، وها هو اليوم يدفع الثمن (علق روجر ببرودة) وماذا عنك؟ هل انتهيت من دراسة الحقوق؟

ـ كلا. كان لا بد من تعطيل سنة لأن بوب لم يدفع القسط. آه، يجب الا تبدو هكذا متأثراً، فانا اشتغل، ولكني جئت مع هذه الزمرة، لأني، كوريث طوم، مهتم بأمر العقار. هل من طريقة لاجتناب هذه العملية؟

ـ لا اعرف، انت المحامي، لماذا لا تحاول معرفة ذلك؟

اقترح تشك بأمل:

ـ لو نقدر ان نبيع الفولي دون الفانسي.

اجابه روجر بتهذيب:

ـ يبدو انك نسيت نقطة مهمة. فانغرام يقول ان الفولي من دون الفانسي لا تهمه. اكتشف ان بيت الفولي مبني على مستنقع، لهذا سينهار.

قال تشك بتذمر:

- ولكنك انت الذي اخبرته.
- طبعاً. (نظر الى ميراندا واضاف بمرارة).
- حسناً، يا ميراندا، هناك الكثير لاعلام رئيسك، أليس كذلك؟
التقطت انفاسها بصورة مفاجئة.
- هل تظن اني سأخبره كل شيء؟
قالت هذا محتجة واللوم في عينيها الصافيتين الرصينتين. كانت قد انهت شرابها جالسة والصدفة بين يديها، هادئة، خداها يعكسان كلؤلؤ الصدفة.

اختفى شيء من قسوة وجهه وحدة نظراته عندما التقت نظراتها لحظة بدفء.

- لا اظن انك تفعلين ذلك بارادتك، ولكن حين يسألك عما تحدثت معي كل هذا الصباح، فلا بد من ابلاغه شيئاً، أليس كذلك؟

كان على حق، طبعاً، وصعب عليها ان تقول للسيد انغرام ان حديثها مع روجر ذلك الصباح تطرق الى مواضيع مختلفة، من العمة كلارا الى اغنيات روجر حين كان طفلاً، هذه الاغنيات التي تنبض انغامها في موسيقاه.

كلا، انها لا تستطيع ان تخبر السيد انغرام عن صباحها مع روجر. ذلك كان سراً ستحضنه طوال حياتها. انها ستتذكر في المستقبل، وهي وحيدة في بيتها الريفي في انكلترا، الفرح الخطر الذي عرفته في شوارع شارلوت امالي الوارفة الظل مع شاب اهداها صدفة، وانها ستساءل نفسها ان كان قد حدث هذا بالفعل.

وهكذا بعد الغداء، حين كانت تطبع رسائل للسيد انغرام، اخبرته بالقليل الذي تعرف عن مارني العمياء وعن السبب الذي من

اجله لا يرغب روجر في بيع غالنت فانسي. اصغى باهتمام، ورمقها بنظرة حادة، قائلاً:

ـ حسناً، اعتقد انه في الامكان معالجة هذه القضية الصغيرة. لا اظن ان امرأة عمياء ستكون العائق لمدة طويلة. شكراً للمعلومات.

اثار موقفه رعدة فيها. تطلعت اليه بتمعن واحست ان عينيه باردتان ودون شعور. لم يكن يهتم بالآخرين، اذ ان هاجسه التجارة وطموحه اقامة الصفقات الكبيرة.

ـ بعد الظهر احب ان تأتي معنا الى موقع الفندق لتأخذي بعض الملاحظات. غداً نترك سانت طومس لزيارة بعض الجزر العذراء. قررت قضاء اسبوع فيها كي اقيم جواً من الثقة المتبادلة. سيكون وقتاً لذيذاً، كوني لطيفة مع روجر. وفي الوقت نفسه دعي تشك مرتاحاً. عنده فورة الشباب، انه في حاجة الى المال كي يتابع دراسته الجامعية، وربما شجع والده على البيع لسوانا اذا تأخرنا. ربما علينا اشراك السيدة غالنت في عملية الاقناع. كانت صديقة روجر سابقاً، واظن ان الوقت حان لاحياء هذه الصداقة.

٣- كم من المفاجآت تنتظرها هنا تحت الشمس الاستوائية. هل تخاف ان تكتشف انها امرأة ولم تعد تلك المراهقة التي تقضي نصف وقتها تحلم؟ عندما تعود، لن تكون هي ذاتها. ستكون لها ذكريات تعذبها!

كانت شمس بعد الظهيرة حادة تشع في سماء صافية، مكونة شرارات ضوئية تنعكس على صفائح اليخت المعدنية الملساء والذي كان مربوطاً الى مرسى صغير عند جزيرة من الجزر العذراء كانت مهجورة قبل ان تصبح حقلا لمشاريع انمائية بواسطة الترانسمارين.

منذ رحيلها عن سانت طومس، قضت جماعة اليخت سبعة أيام كسولة بين الخلجان الصغيرة ومداخل الجزر العذراء. الطقس الرائع، الشمس والريح المؤاتية، الحياة المتراخية، هذه كلها اشاعت تدريجياً جواً من الثقة طالما سعى السيد انغرام الى تحقيقه. كل واحد

بدا على وفاق مع الآخر، والتوتر الذي حدث بين دون وروجر مساء ذلك اليوم في سان خوان، تبخر.

وفي جزيرة تورتولا التي كانت الأكبر في مجموعة الجزر البريطانية والتي كانت ملجأ للقراصنة حتى اواخر القرن التاسع عشر، في هذه الجزيرة، رافق السيد انغرام الجماعة الى فندق جديد. وكما الحال في سانت طومس، فقد انضمت ميراندا اليهم لتسجيل الملاحظات.

كانوا الآن على هذه الجزيرة الصغيرة التي كانت تضج بالعمران، تماماً كما تصور السيد انغرام ان فورتوغا ستنمو فيما لو تمكنت الترانسمارين من شراء عقار غالنت.

وفي طريق عودتهم، وهي تسير متخلفة عن رجال المجموعة الى اليخت، رأت ميراندا ان هناك تشابهاً بين روجر وطومس رغم الفوارق في سلوكهما. كان طومس انيقاً، طويلا دقيق الملامح مثل روجر. غير ان شعره الخفيف كان فاتح السمرة وعينيه باهتتي الزرقة كعيني تشك. لا بد انه كان جذاباً قبل سنوات، ولكن الحياة المرفهة زادت في وزنه كثيراً.

بدا متحمساً عند كل فندق، كما على هذه الجزيرة الصغيرة. وحتى يجعل ابن عمه الاصغر متأثراً مثله كان يعبر عن دهشته لرؤ ية كل شيء، وبين وقت وآخر كان يأخذ بذراع روجر لافتاً انتباهه الى شيء ما. اما روجر من ناحيته فقد حافظ على جو من الغموض، بينما رامون وتشك شاهدا كل شيء بتردد وكان واضحاً انهما يتمنيان لو كانا في مكان آخر.

ـ هناك طريقة واحدة للانتعاش بعد جولة تفتيشية في حرارة النهار، انها السباحة. (قالها تشك وهو يبطىء في سيره ليصير في محاذاة ميراندا) أتعرفين، أعتقد ان أغنية نويل صحيحة. الكلاب

والانكليز وحدهم يروحون في عز النهار ويفعلون ما فعلنا، وقد كان الكثير من الانكليز هنا اليوم. اما الذين في عروقهم دم لاتيني، مثلي ورامون، فانهم يفضلون القيلولة في وقت من النهار كهذا. هل تعتقدين ان روجر كان مسروراً هذه المرة؟

- تصعب معرفة هذا. (اجابته).

- انه شاب انزلاقي، أين اختفى؟ طلبت منه ان يسبح معنا، ولكن كعادته، قدم عذراً مبهماً كما يفعل كل يوم بعد الظهيرة. لا أفهمه. ان الغطس في مياه هذه الجزر ساحر. انه سمكة باردة تحت الماء كما هو فوقه، يسبح ويغطس كأحسن ما يكون، ولكن أظن انه وجد ما هو أحسن. كم تحتاجين من الوقت لارتداء ثياب السباحة؟

- حالا.

وراحت ميراندا الى حجرتها متلهفة للبرودة.

على صندوق الجوارير كانت الصدفة تلمع بوهج سري. نزعت ثيابها الملتصقة من العرق، أخذت دوشاً سريعاً وارتدت البيكيني. وبدت بشرتها تكتسب سمرة ذهبية، على رغم انها كانت تحاول ألا تحرق بشرتها اكثر مما يجب.

اعتمرت القبعة البيضاء التي أهداها اياها روجر وانتعلت صندلا وارتدت سترة على شكل منشفة حتى الخصر. حملت حقيبتها البحرية التي حوت منشفة وزيتاً ضد لذعة الشمس، وتركت الحجرة مسرعة في الممشى.

كان اليخت هادئاً، ظنت ان خوانيتا ورامون يستريحان كعادتهما، كذلك السيدة انغرام، وان السيد انغرام في مكتبه يخطط. ألا يعرف هذا الرجل الراحة؟ لا بد انه كان مسروراً بما يقوم به كل واحد. مع انها كانت تشعر انه من المستحيل التقرب من روجر نظراً الى

حياتها، فان صداقة كانت تنمو بينهما نتيجة كل لقاء صباحاً على متن اليخت قبل الفطور كي يشاركها اما في رؤ ية وصول اليخت او في رؤ ية البحارة. بدا في كل هذه المناسبات السحرية لذيذاً، مسلياً، غزير المعلومات. مرة او مرتين، تذكرت ما ينتظره منها السيد انغرام، فكانت تمتدح فنادق الترانسمارين وتبين الفوائد التي ستجنيها فورتوغا من اهتمام شركة هولدينغ بالجزيرة، ولكن ما ان تراه يتراجع لتوه او بلباقة ويغير الموضوع، حتى تتوقف عن الحديث مفضلة الاصغاء على التحدي، محاولة قدر الامكان الاحتفاظ به.

ذلك كان الوقت الوحيد للتعاطي معه، لأنه كان يميل الى ان يذهب وحده بعد الظهر. وفي الأمسيات كان الآخرون حاضرين دائماً، ولا مجال للاختلاء معه.

تعودت ان تمضي معظم أوقاتها مع تشك. سبحت معه لأول مرة في مياه الكاريبي الدافئة، وتنزهت معه على طول الشاطىء، كذلك رقصت واياه في الأماكن الليلية القليلة التي زاراها في أثناء الرحلة. والآن ها هو يأخذها الى الغطس.

كان ينتظرها في الممر لابساً الشورت الأسود للسباحة ومنشفة حول عنقه. تطلع اليها باعجاب لدى وصولها ولف برفق ذراعه حول كتفيها، وانطلقا.

قال لها:

ـ هناك خليج صغير عبر الجانب الآخر من البر الداخل في البحر. سنصله بالتسلق خلال الجفنات.

تسلقا الصخور حيث كانت أمواج البحر تتكسر أسفلها فتستحيل صفحات لماعة بيضاء. وبين الجفنات كانت هناك أصداف بأحجام مختلفة شدت انتباه ميراندا واستوقفتها.

- في استطاعتك تمشيط الشاطىء في أثناء العودة (قال باصرار) هيا بنا.

صعدا المرتفع البسيط، وهبطا الى الجانب الآخر. ومن خلال أوراق الجفنات وشجر النخيل رأت الرمل الأبيض منحدراً على طول مياه ناعمة زرقاء مخضوضرة. وما ان سارا خطوات الى الأمام حتى اتسعت الفرجة الى الشاطىء وشملت اشياء عدة. حقيبة بحرية بيضاء لامرأة، منشفتان ملونتان مرميتان دون اكتراث، جسمان نحاسيان يلمعان.

- آه، كلا!

جمدت ميراندا وأشاحت بنظرها بعيداً. أرادت ان تعود راكضة، غير ان رجليها خانتاها.

- والآن نعرف أي مكان يقضي بعد الظهيرة (قال لها تشك برقة) لهذا بوب قلق.

قالت له ميراندا:

- تعال نسبح في مكان آخر.

- كلا، أوتريدين ان تفوتنا هذه اللحظة قبل ان تؤدي الى شيء آخر؟

وقبل ان يتأكد مما اذا كانت ستنزل معه هبط المنحدر صارخاً:

- اني أراكما! واذا كنتما لا تستطيعان اخفاء نفسيكما في الرمال، فاختفيا في الماء!

رفع روجر رأسه. رأى تشك متقدماً يعفر الرمل، فنهض وركض الى البحر بخطى طويلة. بدا قوياً، متناسقاً، مرتدياً أقصر ما يمكن للسباحة، وهرول مسرعاً فوق الرمل. واندفع في الماء تاركاً وراءه رذاذاً لمع تحت الشمس. رفع ذراعيه فوق رأسه وعضلات كتفيه القويتين نفرت تحت جلده. انحنى بجسمه واختفى غاطساً تحت

سطح المياه الهادئة الموج.

بعد ان تركها روجر غالنت، حاولت دون حماية نفسها من الرمل الذي رماها به تشك. وصرخت به عالياً وهي تضع يديها على وجهها:

ـ آه، انك كريه، كنت أتمتع بالشمس، وها أنت تفسد عليّ كل شيء.

أجابها تشك، ملتفتاً الى حيث روجر الذي كان يسبح بقوة:

ـ أراهن انه هو الذي كان يفسد لذتك.

ردت دون شعرها الفضي الأجعد واتكأت على مرفقيها متطلعة الى ابن زوجها.

ـ اذن، هذا ما يزعجك، ايها الصغير. هل ستخبر والدك؟ حان لك ان تكبر وتكف عن هذه القصص.

ـ احترزي من روجر، والا فمشكلة جدية ستنشأ له مع بوب، وهذا ما نحاول تجنبه. واذا لم تفعلي، فاني ساجعلك تأسفين للنظرات المغرية التي كنت تنظرين بها اليه. لا تعتقدي ان احداً لم يلاحظ ذلك.

ـ وهل تظن اني غير قادرة على الاهتمام باثنين في الوقت نفسه او حتى بثلاثة؟

ردت عليه متحدية بينما كان بصرها يتزلق بايحاء على كتفيه الكبيرتين وصدره العريض حيث لمعت حول عنقه ميدالية معلقة بسلسلة.

ـ أظن انك غير قادرة على ايقاع ذلك الغالنت في شباكك (قال مشيراً برأسه الى روجر).

ـ وهذا ربما ما جعلني احس ان مغامرتي معه مثيرة(أجابته في الحال، وتطلعت الى ميراندا) أراك ما تزالين شاحبة. اليس كذلك؟ انك غير معتادة على الشمس، كما ان بشرتك رقيقة. ستكونين مثل سرطان مسلوق هذا المساء اذا لم تحترزي. لا شيء أسوأ من بشرة حمراء تنقشر.

وفي انحناءة، وقفت واندفعت الى الماء، تقوس جسمها واختفى. ثم ظهرت ثانية في لحظة وهي تسبح خلف روجر بمثل سرعته.

حين تطلعت ميراندا الى تشك رأته يحدق اليهما في الماء، وعلى وجهه تعبير شك وريبة. عبوس ثقيل جعل حاجبيه الكثيفين الاسودين يلتقيان فوق أنفه البارز. كانت عيناه تضيقان، وعلى فمه شارة غير سارة. وذكرتها بشرته الخشنة وملامحه الصقرية بصورة رأتها مرة لغازٍ يدمّر بلاداً احتلها.

التفت اليها وابتسم، وللحال تبدلت صورته وعاد تشك من جديد كسولا ولكن خفيف الظل، وهو ما أحب شيئاً اكثر من السباحة والاسترخاء في الشمس.

ـ دون غاضبة لأننا قطعنا عليهما خلوتهما، وهي تلومك لذلك. غير انها على حق، عليك اليوم الا تعرضي جسمك للشمس كثيراً. دعيني ادهن ظهرك بالزيت، لا أدري متى سيلتقيان بعد الظهيرة.

تعجبت ميراندا، انها لم ترد ان تهتم للأمر. كانت يد تشك كبيرة ولطيفة ولكن من دون حرارة بينما كان يدهن كتفيها بالزيت، وهنا خرج روجر من الماء، بدا طويلا وجميلا، شعره كأعشاب بحرية حمراء قانية، ولما وقف هنيهة يتطلع نحوهما بان صدره الناعم وكتفاه وقد علقت عليهما نقط لؤلؤية. لامس عدة الغطس بقدم حافية وقال:

ـ أين وجدت هذا؟

قال له تشك:

ـ في اليخت. توجد عدة للغطس وفلك شراعية، في استطاعتنا الابحار غداً.

ـ لا بأس. من سيغطس الآن؟

ـ ميراندا وأنا.

ـ الى أين تقدرين ان تسبحي، ميراندا؟ (سألها روجر بصوت نبرته حادة بددت لامبالاته).

تطلعت اليه. كان يراقب تشك الذي كان يفرك كتفها اليمنى بالزيت، وعلى زاوية فمه الصارم المستقيم ابتسامة خفيفة.

ـ لا أدري، لست متأكدة.

ـ ما يساوي مرتين طول حوض سباحة عادي؟

ذكرها سؤاله بحوض السباحة حيث اعتادت ان تسبح في عطلة الغداء مع صديقاتها في مكتب لندن. كان قاع الحوض أزرق كي تبدو المياه استوائية اللون، وعلى الحائط الانرميدي رسمت اشجار نخيل.

ـ قد يكون في امكاني ان اقطع اربعمئة ياردة.

ـ هل سبحت سابقاً تحت الماء؟

ـ كلا، ليس تماماً.

ـ يجب ان تتمرني اولا، قبل ان تستعملي عدة الغطس. فالحوض محمي هناك اكثر، وأنت يا تشك اذهب واحضر اجهزة اخرى، وانا سأجعل ميراندا تتمرن حتى أتأكد انها لن تتأذى.

كانت تنهيدة تشك مسموعة، على شاكلة انفجار.

ـ بل اذهب أنت واحضر الأجهزة، وأنا سآخذ ميراندا للتمرين. يبدو انك نسيت انك بعد هذه الظهيرة ستلهو مع واحدة في عمرك

ووزنك، كما هي العادة طوال هذا الاسبوع.

تلفت الى دون التي كانت قادمة من جهة البحر بشعرها الفضي المتلألىء بنقاط من الماء، وبقامتها الرقيقة الضامرة الخصر، بدت كأنها عروسة البحر التي تقود الرجال الى هلاكهم.

تبسم روجر متطلعاً الى تشك.

- هل يعني انك تغار؟ (وتراجع حين وقف تشك محاولا ضربه بقبضته) حسناً، قل لي اين الأجهزة، ومن ثم نغطس نحن الأربعة.

ضبط تشك ثورته وأخبره عن مكان الأجهزة، فانطلق روجر يصعد الصخور.

- لا شيء يؤثر فيه. (قال تشك متعجباً ويغضب) لو قال لي ما قلته له لنفخت في راحة كفي وصفعته.

- كدت تفعل ذلك (قالت له دون وهي مقبلة) أين ذهب روجر؟

- ليخفي نفسه عنك (قال تشك بخبث) تعالي، ميراندا، دعينا نسبح عند الجانب الآخر من الحوض.

كانت مياه الحوض صافية وعميقة، كانت مثالية للسباحة والغطس. سبحا برهة، ولما اكتفيا، سبحت وحدها بعيداً تحت الماء دون جهاز وبعدما علّمها كيف تستخدمه اندفعا معاً الى وسط الحوض وغطسا تحت سطح ماءه المتلألىء.

في أعماق المياه كان عالم بارد شفاف حيث تموجت أعشاب جميلة طويلة السيقان بين جذوع من مرجان أبيض. زرافات من السمك الاستوائي، ذات لون فضي وياقوتي، وأخرى لونها ذهبي وزمردي، كانت تسبح بين الاعشاب، والرمل الشاحب المنبسط في القاع كان

مبرقعاً بقناديل بحرية ملونة من كل الاشكال والأحجام.

حين رجع الى الشاطىء كانت دون وحدها تدخن بعصبية ويتجهم.

ـ لم يعد روجر، ماذا قلت له؟ (سألت تشك بنرفزة).

ـ اخبرته عن مكان اجهزة الغطس، فقال انه سيأتي ببعضها كي يغطس معك ايضا. (أجابها في صورة طبيعية). ربما لم يجد شيئاً.

ـ لا شك انك قلت له اكثر من هذا. (علّقت دون بنبرة عدائية) قلت شيئاً لم يعجبه، ففضل عدم الرجوع. انك لعين وعلى رغم انك تشبه أمك، فان لك طبع غالنت وهو التدخل في ما لا يعنيك. تماماً كما فعلت مارني... وتذكر ما حدث لها.

ـ لا بأس، يا دون. لن تكوني وحيدة مدة طويلة. اني أرى معجباً آخر.

كان في صوت تشك تحذير، كل من ميراندا ودون التفتتا صوب الشاطىء. كان دوغ انغرام يقترب، مرتدياً لباساً بحرياً قاني الحمرة. ارتاحت ميراندا لرؤ يته، لأن النقاش بين تشك وخالته بدأ يخيفها. كانت مسرورة لرؤ ية بشرة السيد انغرام كبشرتها شاحبة، وفي يديه جهازان للغطس.

خاطب دون مبتسماً:

ـ التقيت روجر، قال انك هنا. هذه بقعة ساحرة، ولكن طومس يقول ان الحوض في فورتوغا أجمل. هل من شيء خلاب تحت الماء؟

وبشيء من الشعور بالواجب وصفت له ميراندا ما رأت، ملاحظة انه لم يكن مصغياً، لأنه كان يرمق دون بطرف عينه. واذ شعرت هذه انه كان يرمقها، تبدد عبوسها، واتكأت الى الخلف على مرفقيها كأنها عرفت انها في وضعيتها هذه ستكون شديدة الاغراء.

ـ سأرى بنفسي. (قال السيد انغرام حين انتهت ميراندا من كلامها) أتحبين ان تأتي معي، سيدة غالنت؟

رفعت بصرها اليه ببطء، ولمعت عيناها بإثارة في الشمس حين تفرست فيه صعوداً ونزولا.

ـ اني احب ذلك، سيد انغرام.

سمحت له بأن يساعدها في وضع جهاز الغطس، على رغم ان ميراندا كانت تحس ان دون تتقن استعماله.

راقبهما تشك يبتعدان على الرمل نحو الماء اللامع وشيء من الثورة في وجهه، ثم راح يجمع اجهزته.

ـ دعينا نذهب الى مكان آخر لنستحم في الشمس. (قال لها متمتماً).

تمشيا على طول الشاطىء وفوق الصخور. كان الرمل دافئاً وناعماً تحت أقدامهما، وبعد السباحة احست ميراندا بالارتياح. كان المكان جميلا، عبارة عن رمال متوهجة، النخيل في محاذاتها من جانب، والبحر من الجانب الآخر.

قال تشك فجأة:

ـ اعجب مما يبتغيه رئيسك، واضح انه سبب عدم عودة روجر الى الشاطىء.

ـ وأنا كذلك متعجبة.

تمتمت ميراندا متظاهرة انها لم تفهم ملاحظته التي حطمت جوها الكسول المرتاح، وتذكرت ان السيد انغرام يريد استخدام دون لاقناع روجر ببيع غالنت فانسي.

حين تسلقا الصخور هذه المرة توقفا لجمع الأصداف. كان لدى ميراندا مجموعة منها في حجرتها، وكانت اشترت دليلا من مكتبة

لأنواع الصدف المتوافرة في الكاريبي وهي الآن قادرة على التمييز بينها.

على الشاطىء الثاني وجدا مكاناً مناسباً للراحة، وتمددا في الشمس يتبادلان أطراف الحديث. انه لمن دواعي السرور ان ينقضي بعد الظهر هكذا. وهذا ما فعلت مرات عدة مع تشك، مع ان الحديث معه لم يكن له سحر الحديث مع روجر، ذلك ان تشك كان مهتماً بنفسه فقط.

هو، مثل خوانيتا، كان قد قضى سنواته المبكرة في فورتوغا قبل قدومه الى سان خوان حين افترق والداه، لكنه على عكس خوانيتا صمم على متابعة دراسته في الولايات المتحدة وليس في بريطانيا. وأراد ان يدرس الحقوق ويعود الى بورتوريكو.

حاولت ميراندا بلباقة ان تعرف المزيد عن روجر وماريي.

ـ انهما مختلفان عن خوانيتا وعني. أمهما من انكلترا، وهكذا درسا في انكلترا في مدارس خاصة. بلكنتهما الانكليزية وبولائهما المبالغ فيه وتمسكهما بالتقاليد. بهذه كلها يجعلانني احس انهما اكثر انكليزية من الانكليز. ثم اني عندما اجد روجر يتصرف مع دون بالطريقة التي رأيته فيها بعد الظهر أعجب منه. ربما الدم اللاتيني الحار في عائلته يثور فيه بين وقت وآخر.

ـ او ربما هو يقضي اوقاتاً طويلة في الشمس. (تمتمت ميراندا بكسل شاعرة بأنها يجب ان تعود لأنها جلست طويلا في الشمس ذلك النهار).

ـ ماذا تقصدين؟ (سألها تشك وهو يقترب منها).

فتحت عينيها فرأته منحنياً فوقها.

ـ قبل المجيء الى هنا قيل لي اني سألتقي أناساً يشبهون الانكليز

ويتكلمون الانكليزية، لكن تصرفاتهم أبعد ما تكون عن تصرفات هؤلاء، لأنهم وآباءهم عاشوا طويلا هنا في الشمس. والآن رأيت هنا تأثير شمس النهار في كل واحد، وأنا أفهم جيداً ما يعني هذا.

ـ وأنا أعرف، نهار تحت الشمس الاستوائية يزيل الانكماش والتمنع. هل زال تمنعك، يا ميراندا؟

رق صوته، ونار متوهجة في عينيه. فمه ذو شفتين مكتنزتين قانيتي الحمرة، مثير كفم والده. لم ترد ميراندا الاقتراب، أغمضت عينيها وراحت تتذكر جو، وكل ما رأت كان فماً آخر، فماً ثابتاً وحساساً، فم روجر.

فتحت عينيها بسرعة كي تطرد هذه الأفكار الناتجة من مكوثها طويلا في الشمس.

ـ أنت مليئة بالتمنع، أليس كذلك؟ (قالها تشك منحنياً صوبها اكثر). مشهد روجر ودون يتعانقان على رمل الشاطىء المهجور بعد الظهيرة أحدث فيك ما يشابه هزة عاطفية.

ـ لا بد من الاعتراف اني غير معتادة على رؤية الناس يتصرفون هكذا بعدم اكتراث خلال النهار وفي العلن، خصوصاً حين يكون واحدهم متزوجاً.

قالت ميراندا محاولة ان تجد طريقة لاجتناب قبلة تشك من دون اغاظته. ان تتصرف بلباقة في حال كهذه، كان خارج تجاربها.

ـ في العلن؟ لا شيء علني على شاطىء رملي مهجور مغطى بالنخيل ومغسول بالبحر الأزرق. وفي الحقيقة، ان هذا المكان هو الأكثر رومانسية في العالم.

بقيت عيناها مفتوحتين ومحدقتين في السماء من خلال اوراق النخيل، اذ انه من الخطر اغماضها.

فجأة سيطرت روحها المرحة عليها وراحت تضحك عالياً، وهنا قعد تشك وأخذ يحلق فيها بعينين غاضبتين.

ـ على أي شيء تضحكين؟

أجابت:

ـ عليك. (ناسية بهذا كل لباقة). صح قول روجر. انك كنت تحسده اليوم بعد الظهر، أليس كذلك؟ كنت تحسده لأنه كان في قمة تمتعه. وهكذا فكرت ان تستمتع مثله فوجدتني امامك ولكن عبثاً تحاول، تشك. انا لست كما تظن. لا آخذ الحب بهذه السهولة كالآخرين، انه بالنسبة الي شيء مميز وشخصي.

حملق بها. وأدركت انها جرحت شعوره.

ـ انك اكثر من معقدة. انك جليدية، لم تمكثي طويلا في الشمس.

ـ اني عائدة الى اليخت، اعتقد اني مكثت في الشمس ما فيه الكفاية، عليّ ان أبعث برسالة الى صديقي، حتى الآن أرسلت اليه بطاقات، وهو الآن ينتظر رسالة.

ـ حسناً. (بدا خجولا كولد صغير حرم من شيء أراده بالحاح). اذن عندك صديق في بلادك. اما من مفاجآت اخرى لديك؟ من المضحك انك لم تخبريني عنه سابقاً، اعتقد ان هذا شخصي وخاص، وانك جادة معه.

ـ نعم، سنتزوج حين أعود الى انكلترا. (قالت ميراندا).

ـ آسف اني حاولت استغلال الوضع. ولكن كان في وسعك اعلامي بالأمر.

كانت الكتابة الى جو أصعب مما توقعت. وتراءى لها شخص صديقها، وهي في حجرتها تسمع الأمواج تلطم جوانب اليخت

ونسمة المساء الباكر تلاعب ورق النخيل فتحدث هذه حفيفاً. كانت تتأمل الصدفة القرمزية تلمع، حاولت ان تتصوره معها ماشياً الى جانبها على الرمال بعد الظهر يسبح في المياه الدافئة الحريرية يعانقها في ظل النخيل، ولكن على رغم هذا لم تقدر على الكتابة.

حاولت شيئاً آخر، ان تتصوره معها يتناولان طعام الافطار على متن اليخت المشمس، يرافقها عبر الممرات الوارفة الظلال واضعاً على رأسها القبعة وهو ينظر اليها من الخلف نظرات متفحصة ناقدة، تصورته يشتري لها صدفة ويهديها اليها بكلمات قليلة مخلصة. وعلى رغم هذا لم تقدر على الكتابة.

انه لا يناسب هذا المكان وأجواءه، وحين حاولت ان تقارنه بأفراد عائلة غالنت المتحررين رأته كائناً بليداً، طائراً يرفرف خارج سربه.

مزقت ميراندا الورقة ورمتها في سلة المهملات. غداً ستحاول الكتابة اليه عندما تكون اكثر هدوءاً.

كان العشاء على الشاطىء لحماً مشوياً، ولأن الملاحين اخذوا اجازة حتى المساء اهتم السيد انغرام والسيدة قرينته بتحضير الطعام.

وقفت ميراندا تساعد في سكب المقبّلات، وحين جاء دور روجر لم تنظر اليه. بعد رؤيتها له عند حوض السباحة أدركت بوضوح انه يستحق السمعة التي اكتسبها كمستهتر بكل ما للكلمة من معنى، وهي لن تخدع نفسها بالتصور انها يمكن ان تصادقه.

لم يكن لديه ما يقول، وبعد ان أخذ نصيبه من المقبلات تراجع وراء موقد النار، ربما ليكون بقرب دون.

كانت الحيوية تملأ خوانيتا فأخذت تتكلم بحماسة عن بركة طيور الفلامينغو التي وجدتها مع رامون بعد الظهر. عاكسها رامون بلطف ومحبة، وبينما كانت تراقبهما تذكرت ميراندا جو وتساءلت أن كانت

ستحظى بسعادة كهذه بعد زواجها به.

لم تذهب بأفكارها بعيداً لأن دوغ انغرام راح يحدثها بنبرة ذات معنى.

ـ أتذكرين قولي ان السيدة غالنت قادرة على التأثير في روجر؟

وافقت ميراندا بينما كانت تملأ صحنه بالمقبلات.

ـ تكلمت في الموضوع مع دون، وقد كانت سعيدة ان تفعل ما اقترحت. لسوء الحظ، رآها تشك بعد الظهر معه في وضع مشبوه، وهي خائفة الآن من ان يعرف زوجها بالأمر. لهذا عليك ان تتدبري الأمر، دعي زوجها يشعر بالراحة وبأننا ما زلنا مهتمين به. ستحاول زلدا ما في استطاعتها، ولكن طومس، كبقية أفراد غالنت الآخرين، له عينان دائمتا التجوال، وهو يحب النساء الشابات، وأنت تعرفين ما أعني.

ـ نعم، أعرف ما تقصد، سيد انغرام. (أجابته ميراندا).

لم تكن متأكدة اذا كان دوارها مردّه تصوّرها عين طومس غالنت المتنقلة، او هو فكرة تسليته بينما زوجته تحاول باغراءاتها اقناع روجر بتغيير رأيه حول بيع غالنت فانسي.

لم يكن من الصعب التحدث الى طومس الذي بدا ضائعاً الى حد ما بسبب اختفاء زوجته في الظلال، خاصة ان زلدا انغرام تقوم بتسلية المدير وزوجته، هذا المدير المسؤول عن تنمية الجزيرة. لهذا كان طومس مسروراً بمرافقة ميراندا والتحدث عن الحفلات التي اقامها في فورتوغا.

ـ انه مكان جميل. (قال مبتسماً). جنه طبيعية. بيع هذا المكان يمزقني، لكني أؤمن بالتقدم. لا نقدر ان نعيش دائماً في الماضي، وهذا ما كنا نفعل في فورتوغا، نحن أبناء غالنت، نتصور انفسنا

مالكي مزارع.

- وقراصنة. (علقت ميراندا مازحة، فضحك من كل قلبه).

- دائماً سنبقى هكذا. في داخل كل واحد منا قرصان على رغم محاولتنا الظهور مظهر المتمدنين. ان كنت مهتمة بالقراصنة فانك ستحبين ابن عمي روبرت، والد روجر. كان جداً رائعاً. كنا صديقين حميمين حين لم نكن نتقاتل. (ضحك طومس ثانية) كان في مقدوره ان يحدثك طويلا عن القراصنة في عائلة غالنت. كان يكتب تاريخ فورتوغا.

- ماذا حل به؟

- مأساة. (تنهد طومس عميقاً) كان بحاراً عظيماً يملك قارباً كبيراً يبحر في الكاريبي كأجدادنا القراصنة. عبر المحيط مراراً كما لو كان يعبر القناة الانكليزية. كانت صدمة كبيرة لي حين غرق. كان مبحراً في طريق العودة مع زوجته ماري... كانت طيبة، في خدّيها تورّد وابتسامة مرحة، الى فورتوغا من ترينيداد مصطحبين ابنهما الأكبر فرنسيس. كان روبرت هناك يهتم بشؤون كثيرة، ضربتهم عاصفة وغرق القارب، شيء رهيب. لم أفهم كيف ان بحاراً مثل روبرت علق في عاصفة، ولكن يحدث هذا لأحسن البحّارة أحياناً.

- متى حدث هذا؟

- دعيني أتذكر، كان روجر في الخامسة عشرة من العمر، أي منذ ستة عشر عاماً. وهذا ما جعلني مسؤولا عنه. في وصيته طلب مني روبرت ان أكون وصياً على كل واحد من أولاده الذين هم دون سن الرشد في حال وفاته. (كان تنهّد طومس ثانية عميقاً). ليته لم يفعل ذلك. عرفت كل انواع المشاكل مع ذلك المحتال، لن تصدقي كم مرة وقع في مأزق حرج، ليس فقط في فورتوغا ولكن في مدرسة في

انكلترا. مؤذٍ من يوم ولادته. كان عزيزاً على قلب أمه. فقط لأنه قدر ان يغني ألحاناً ويؤلف أغنيات. علبني ولما يزل. أنا لا أقول ان الحادث لم يزعجه. لقد انزعج، غير انه لم يهتم بزراعة قصب السكر او اي شيء آخر، كل همه يدور حول الموسيقى.

- وماذا عن مارني؟

- كانت في سن تؤهلها للعناية بنفسها، وهكذا فعلت. انها قديرة. حازت شهادة في الكيمياء، كان ممكناً ان تحل محل روبرت في صناعة التقطير، ولكن حدث ان أصيبت بالعمى، بعت حصصي وحصصها لمن عرض ثمناً أعلى. روبرت لم يكن من الطراز نفسه، كان رجل أعمال، وكذلك فرنسيس. موهبتي الوحيدة هي في اختيار المرأة غير المناسبة لتكون زوجتي.

تنهّد ثانية بعمق وتلفت حوله، محدقاً في الظلال كأنه يحاول اختراق ظلمتها بحثاً عن دون.

ضغطت ميراندا على نفسها وحولت الحديث الى ما هو أقل ازعاجاً. وكانت مرتاحة لظهور السيدة انغرام واقتراحها ان يصعدوا جميعاً الى سطح اليخت لتناول المرطبات ولعب الورق لمن شاء ذلك. واتفقوا على ان يبحروا باكراً.

شعرت ميراندا بارتياح لكونها قررت ان تتمشى وحدها على الشط، فهي لن تعيد هذا المشوار ثانية. رغبت ان تتذكره في المستقبل كمكان يعمه الهدوء والجمال.

كان القمر يتوارى رويداً، وعلى الرمل رمت أوراق النخيل ظلالها. وعلى اطراف الرمل كان البحر دائم الهمس تتموج فيه انعكاسات النجوم. «نجوم في البحر» اغنية حزينة عن حب ضائع. عجبت ميراندا للشعور الذي كان روجر غالنت يخفيه وراء مظهره

اللامبالي، هذا الشعور الذي أبدع الموسيقى العذبة.

وفجأة لاحظت ظلا على الرمل وراءها، توقفت فتوقف الظل، مشت فمشى خلفها. وبدت حائرة وهي تحلق فيه. توقفت فجأة فتوقف.

ـ من أنت؟ لماذا تلاحقني؟

ـ حتى أتأكد انك لن تسقطي في مستنقع ما. (أجابها روجر مقترباً منها).

ـ آه، وهل هناك مستنقع؟

ـ نعم، كنت تتقدمين صوبه، ليس من الصواب ان يتمشى الانسان ليلا على هذه الجزر، هناك أنواع مختلفة من الأخطار.

ـ كان لزاماً ان تخبرني انك هنا بدلا من التظاهر عكس ذلك.

ـ ظننت انك تفضلين ان تكوني وحدك. ألم تفاجأي بما رأيت بعد الظهر؟

ـ نعم فوجئت.

ـ اعتقد انك قطعت كل علاقة بي، أليس كذلك؟

هكذا شعرت من خمس دقائق عندما كانت وحدها، اما الآن وهي معه، كانت مسحورة به رغم كل ما فعل.

ـ ربما كنت مأخوذاً بالمناظر. يقول تشك ان ما من مكان اكثر رومانسية من شاطىء مهجور تحت شمس استوائية.

ـ كان يصف تأثير مكان كهذا عليه، كما اكتشفت اخيراً بعد الظهيرة.

ـ وهل رأيتنا؟ (سألته مندهشة وخداها يحمران خجلا) كان يحاول ان يكون مثلك. لا معنى لذلك.

ـ ولكن لماذا تعتبرين وجودي مع دون ذا معنى خاص؟

ـ لا أعرف، بدا وجودك معها شيئاً آخر، انها متزوجة من ابن عمك.

ـ بينما انت موعودة بالزواج، ليس الا. هناك فرق كبير. دون تزوجت طومس لأمواله، اما الآن فهو مفلس وتقدّمه في السن عنها بفارق كبيرْ واضح جلي، انها فتية وموهوبة، وهي راغبة في سواه، في من هو اكثر فتوة، وأغنى.

ـ راغبة فيك؟

ـ تماماً. على الأقل، هذا تفسيري لعودتها الي وللبحث عني بعد الظهر كي تشاركني في التمتع بالشمس. طبعاً، قد يكون هناك سبب آخر.

ـ كلا، لا احب ذلك. (أجابته بجفاء).

ـ اعتقد ان هذا لا ينسجم معَ رأيك المثالي بالزواج. اذا كان هذا هو الأمر فانك ستصادفين مفاجآت عدة هنا تحت الشمس الاستوائية، حيث الجاذبية الحسية تينع في الحرارة وفي هذا الجو الرومانسي. وهذا ما عرفته مع تشك بعد الظهيرة.

ـ ليس الأمر كذلك، لست ميالة الى تشك.

ـ هل تخافين من اكتشاف شيء في نفسك لا ينسجم مع القيم الأخلاقية التي فرضتها عليك العمة كلارا؟ هل تخافين ان تكتشفي انك امرأة، وانك لست مراهقة تقضي نصف وقتها تحلم؟ كان على صديقك جو ألا يدعك تبتعدين عنه، كان عليه الاقتران بك بدلا من السماح لك بالمجيء الى هنا. انك لن تكوني الانسانة ذاتها لدى عودتك الى انكلترا. ستكون لك ذكريات تعذبك.

توقف قليلا ثم سألها:

ـ ماذا يفعل هذا الشاب الرصين؟

ـ انه يتعاطى مهنة البناء.
ـ آمل ألا يكون بناء الفنادق؟
ـ كلا، بناء بيوت. بالمناسبة، لا أعتقد انك احببت الفنادق التي شاهدناها في سانت طومس وتورتولا، أليس كذلك؟
ـ هل كان ذلك واضحاً؟
ـ نعم. بدوت ضجراً، وكنت خشناً مع السيد انغرام.
ـ قصدت ان أكون هكذا، عنده نوايا قاسية.
ـ ربما تحب الفندق على غرينادا أكثر.
قالت هذا بسرعة مصممة ان تستخدم اللحظة كي تدعم مصالح الترانسمارين كما أشار عليها السيد انغرام.
ـ صمم كي يناسب الهندسة المحلية، انه ليس عالياً بل مبني كأكواخ ذات طابع محلي متلاصقة ذات طبقتين، حولها ملاعب حيث الينابيع والأحواض الملأى بأنواع السمك. بالكاد هو مرئي من البحر او الطريق، انه منسجم مع المناظر المحيطة، فيه حوض سباحة ومحلات تجارية. كما أنا متشوقة الى رؤيته.
ـ على الوجه الأكمل، يا ميراندا.
قال هذا متهكماً مما جدها. هل يمكن انه فهم ما كانت ترمي اليه؟
ـ انك تستحقين الاعجاب لاخلاصك لرئيسك ولصاحبك الشاب. ولكن يؤسفني ان أقول لك انك تضيعين الوقت. لا شيء أراه أو أسمعه عن فنادق الترانسمارين او عن المنتجات يجعلني اغير رأيي بالنسبة الى بيع غالنت فانسي.
ـ ولكن ماذا سيفعل ابن عمك؟
ـ كما وقع في هذه المشكلة يجب ان يكون قادراً على الخروج منها، لست مديناً له بشيء. خدعني ومارني مرة، كنت يومها دون السن

القانونية وكانت مارني في انكلترا. هذه المرة لن أتركه يعاود الكرة. حين ترين غالنت فانسي ستفهمين موقفي، وحين تلتقين اختي مارني ستعرفين لماذا لا أريد بيع بيتها لتعيش في لندن او في نيويورك، او في أي مكان آخر.

ـ منذ متى هي عمياء؟

ـ من نحو عشر سنين.

ـ أما من شيء يمكن عمله لشفائها؟

ـ كلا.

ـ كيف أصيبت بالعمى؟

ـ في حادث.

ـ آسفة. (تمتمت بصوت خافت)

ـ شكراً. (أجابها بصوت رقيق كانه شعر بأنه جرحها لرفضه توضيح ماهية الحادث) أتمنى ان تلتقي مارني، بينكما أشياء مشتركة. انها مثلك مخلصة ومتمسكة بالتقاليد.

صمت قليلا ثم أضاف:

ـ رأيت شيئاً آخر بعد هذه الظهيرة من غير المفروض ان أراه. السيد انغرام قذر. قد يكون مفيداً معرفة ما كان يبحث فيه بهذه السرية مع دون. انك تعرفين موضوع حديثهما، أليس كذلك؟ هل ستخبرينني؟

ـ لا أظن اني سأفعل ذلك.

ـ لا تظنين، ولكن ماذا تشعرين؟ هذا هو المهم.

شعرت ثانية انها تود لو تقطع كل علاقة معه، لو تبتعد عنه قدر المستطاع، لو تبتعد عن صوته المؤثر، الذي كان قريباً يهمس عند أمواج الشط وتحت النخيل في الريح.

ـ هل ستخبرينني، يا ميراندا؟
ـ وماذا تفعل اذا لم أخبرك؟

ضحك، كانت ضحكته دافئة مما جعلها تضحك بدورها، نازعاً عنها كل مقاومة.

ـ ليس لدي سوى القليل لأفعله. دائماً كنت اعتبر نفسي مثقفاً الى درجة اني لا ألجأ الى العنف. ربما في استطاعتي ان أخيفك.

اغمضت عينيها، جسمها فقد جموده وصار ليناً وسرى فيها شعور رائع وغمرها، شعور يشوبه الألم، تشوبه الرعشة. كان المطر يسقط على أوراق النخيل العريضة، وكانت الريح تشتد.

ـ ليس هذا عدلا. (صرخت ميراندا به، كان صوتها غريباً ومخنوقاً) ليس من الحق ان تستقوي على امرأة لا عون لها.

ـ ما من امرأة من دون معين. قلت لك ان كل شيء حق في الحب والحرب، وهناك حرب بيني وبين انغرام. لم أنسَ انه خدعني بالالتحاق بهذه الرحلة البحرية، انك تعرفين ما وراء حديثه مع دون، وأنت ستخبرينني به حتى لو ابقيتك هنا طوال الليل.

حاولت الهرب، لكنه منعها لاوياً يدها وراء ظهرها.

ـ ايها الحيوان (صرخت به محاولة الافلات منه، ولكن من دون جدوى) ظننتك قلت انك لا تلجأ الى العنف!

قالت له هذا وهي تحاول ان تتحرر منه.

ـ انت بدأت العنف بأن طعنتني. لا تعتقدي مطلقاً اني لن أرد بالعنف عليك لمجرد انك امرأة. فأنا أؤمن بالمساواة الى النهاية. والآن، يا ميراندا، اخبريني ما الذي كان يدبره انغرام مع دون، والا سنبقى الليل كله هنا.

ـ انك لا تقدر ان تحتفظ بي هنا. (ردّت عليه وهي تلهث من

التعب).

ـ بلى، اني أقدر. (اجابها بهدوء).

حاولت ميراندا المقاومة، لكنه قبض عليها بقسوة وجرها وراءه، فتبعته.

أمرها بالجلوس، فجلست، والى جانبها جلس قابضاً على معصمها.

ـ الآن في استطاعتك اخباري ما كان انغرام يدبّره مع دون:

جلست ميراندا هادئة، نار الثورة فيها كانت تخمد، لم تزل في اعماقها مدهوشة لما فعلت على الشاطىء. ماذا ستقول العمة كلارا عن ميراندا الواعية لو رأتها تصارع هذا الرجل كهرّة برية؟

ـ ايها الوحش. (قالت له وهي تحاول الابتعاد عنه).

غير ان يده شدتها حتى آلمتها.

ـ لست وحشاً، ما أنا الا رجل عادي يحاول حماية من يحب، والابقاء على ما تبقى من ارث بعيداً عن قراصنة القرن العشرين، وهذا باستخدامي كل ما عندي من سلاح. اخبريني، ميراندا.

ـ ما عساهم يفكرون اذا عرفوا اننا كنا معاً طوال الليل؟ دعنا نعد الى الفندق.

ـ لا أهتم بما يفكرون، ولكن يمكن اجتناب كل سوء تفاهم باخباري ما أريد معرفته. عندئذ اصطحبك الى اليخت.

مال صوبها هامساً في أذنها. أحست به قريباً منها، وشعرت بالرغبة في ان تتركه يستمر، ولكن فجأة تذكرت مارني العمياء التي من أجلها كان يحاول الابقاء على البيت، وراحت تعترف بصوت خافت:

ـ يأمل السيد انغرام في ان تضغط عليك دون كي تبيع غالنت

فانسي. لا أعرف تفاصيل خطته.

- اذن، كنت على حق.

برودة صوته جعلتها تقشعر.

- يبدو ان انغرام سيلجأ الى كل حيلة حتى ينال مبتغاه. وهو لا شك، طلب منك الشيء ذاته.

- نعم. لكن لا أريد هذا، فأنا لست أهلا لتحقيق هدفه.

- كلا، انت لست كذلك. ماذا كان اقتراحه؟

- ان أكون طيبة معك، ان اكتشف سبباً لعدم ارادتك البيع، وان أفعل كل شيء، الا... الا.

- الا ماذا؟ (كان صوته جاداً).

- قال انه لا يتوقع ان اتعدى الحدود اللائقة.

- وهل ذكر سبب اعتقاده انك ودون تصلحان لذلك؟

- نعم. (اجابته بسرعة) قال انك ضعيف امام النساء. وبادىء الأمر لم أعرف ان قوله كان صحيحاً.

- ربما كان قوله هذا صحيحاً، ولكن، على رغم هذا، لن أبيع بيت مارني وارثي من اجل امرأة. أتفهمين؟

- نعم، آه طبعاً، لكني آسفة، فأنا غير قادرة ان اخبرك أكثر. في الحقيقة، لا أعرف كيف اعتقدت السيدة غالنت انها تستطيع التأثير عليك.

- أخبرتني ما فيه الكفاية. فأنا الآن مستعد لكل شيء، سأعامله كما يستحق. شكراً ميراندا. آسف لأني اخفتك، ولكن كان لا بد من ان اعرف حقيقة الأمر.

اتكأت بحزن على الحائط، مترددة في ان تترك ظلمة الكوخ اللطيفة حيث جرى مشهد انكسارها. كان المطر يتساقط في الخارج،

وحين انفتح الباب سمعت صوت انهماره.

ـ لم تعد تمطر بقوة. (قال روجر) هل تجازفين بالركض الى اليخت؟

ـ لا مفر من ذلك. لا أقدر على البقاء معك مدة أطول! (صرخت بصوت مخنوق).

هبطا الى الشاطىء، كان الرمل رطباً، وهذا ما أعاق سيرهما، ولكن رغم كل صعوبة، أسرع، وأسرعت وراءه.

كانت السيدة انغرام في مدخل صالون اليخت. كانت في حال عصبية، وفي ريبة ظاهرة. رمقت ميراندا قائلة:

ـ كنت أتساءل ما حل بك. انها الساعة الواحدة صباحاً، وأنت تعرفين اننا سنرحل باكراً. من الحماقة التجوال بعيداً حتى الآن، دوغ يرغب في رؤيتك في الصباح كي تبرري تصرفك الغريب. أين وجدتها، روجر؟

ـ قرب مستنقع، كان لا بد لنا من الاحتماء من العاصفة، والا لكنا رجعنا قبل الآن.

دخلت ميراندا حجرتها، أغلقت الباب خلفها كأنها بهذا أرادت ان تمحو من ذاكرتها ما حدث لها الليلة على الشاطىء.

٤ - ما سبب حزنه هل هو موت ابويه؟ هل هو عمى اخته؟ هل الحزن هو سبب سلوكه الجنوني احياناً؟ تمشيا على البحر متشابكي الأيدي صامتين، فهما لم يعودا في حاجة الى الكلام . . .

كان الصباح منعشاً وصافياً بعد هدوء العاصفة، سماء زرقاء فوق بحر ازرق، والوان فضية تعكسها الأمواج تحت الشمس، وسمك يتطاول الى سطح الماء بحركات بهلوانية.

كعادتها في كل صباح، وقفت ميراندا على سطح اليخت تراقب الرمال الشاحبة والنخيل، وخلفها جفنات خضراء تغيب في الزرقة البعيدة. لم تنتظر طويلاً، كان عليها زيارة السيد انغرام في مكتبه كي تقدم اليه تقريراً عما حدث. وحين رأت روجر يقترب صوبها هربت الى الجانب الآخر حتى لا تقابله، واخيراً الى الصالون ومنه الى

المكتب.

كان السيد انغرام لطيفاً، تطرق الى الموضوع مباشرة. سألها اذا نجحت في مهمتها مع روجر. اجابته انها لم تنجح وهي تشعر بالذنب. وهنا سألها غاضباً اذا كانت قد اهدرت وقتها الليلة الماضية.

ـ ظننت انها فرصة سماوية حين تطوع للبحث هنك.

ـ انا. . . انا. . . حاولت. (وبشيء من الاشمئزاز تابعت) لا قدرة لي على تحقيق طلبك. هذا مستحيل. لست الشخص المناسب لذلك.

ـ هل هو خطر الى هذه الدرجة؟

اجابته وقد احمرت وجنتاها:

ـ لا اريد ان يكون لي اي شيء معه.

ـ حسناً، انا نفسي لا ادعي اني سعيد في العمل. يجب وضع الأحاسيس الذاتية جانباً اذا كان النجاح هو الغاية. ولكن ربما كنت صغيرة لتفهمي ما اقول. سنترك امر روجر للسيدة غالنت المتمرسة. والآن علي كتابة بعض الرسائل. بعد زيارة الجزر اود ان اقضي قرابة يومين في المكتب الرئيسي. ربما توجد رسائل تنتظرنا بما فيها رسائل من اهلك.

ذكرى الرسائل من العمة كلارا ودوروثي وربما من جو افرحت ميراندا، وهكذا ذهبت الى العمل مسرورة لاعفائها من مسؤولية التودد الى روجر.

توقعت ميراندا ان يترك روجر اليخت بعد ان عرف الحقيقة، كذلك توقعت ان يختفي من حياة دون. ولكن لدهشتها ولخوفها في آن، اخذ يبدي اهتماماً اكبر بها. كانا معاً في كل شيء، وكل منهما

يتمتع بالآخر، وهذا سهّل عليها الابتعاد عن روجر.

وذات صباح اختفيا معاً. ما من شيء قيل حول هذا الاختفاء، ما من شيء قيل حول عدم رجوعهما الى الغذاء، او عندما لم يسبحا بعد الظهر كالمعتاد في مسبح المطعم الخاص.

وحين حلت الظلمة الاستوائية المفاجئة ظهرت علامات القلق على طومس. قال انه سيبقى على سطح اليخت في انتظار عودتهما.

وعند العشاء كان طومس في حالة عصبية.. واخيراً رجعا بعد منتصف الليل بقليل في سيارة اجرة. صعدا الى اليخت وعلامات الانشراح بادية عليهما. ما من شك ان دون تمتعت برفقة روجر، مما جعل زوجها طومس يعنفها على غيابها طوال النهار.

وفي اليوم التالي استيقظت ميراندا باكراً، رأت الجبال والزرقة الداكنة فوق البحر. وادركت ان محاولاتها في تجنب روجر كانت ناجحة حتى الآن، كما انه لم يقم هو بمحاولات للتقرب منها، ذلك لأنه بدا منشغلاً مع دون.

لم يكن سهلاً على ميراندا تبرير محلولاتها هذه. حاولت ذلك بتظاهرها انها لا تحبه، لكنها عرفت تماماً ان هذا غير صحيح. والأصبح انها كانت خائفة منه، لأنه حولها الى امرأة تضرب وترفس وتصارع. كانت امرأة مختلفة قبل تلك الليلة العاصفة على الشاطيء.

بقيت طويلاً على سطح اليخت. ثم ظهر روجر وتقدم صوبها، اتكأ على الدرابزين وتطلع الى الجزيرة. مرفقه لامس مرفقها، فابتعدت عنه قليلاً، وهنا نظر اليها قائلاً:

- هل ستهربين كعادتك كل مرة اقترب فيها منك؟ ما من حاجة الى ذلك. فأنا لن احاول الحصول منك على معلومات، اذا كان هذا

ما يخيفك.

ـ كلا، لست خائفة من ذلك، فقط اريد التمتع بالصباح، وقد كان تمتعي به رائعاً حتى مجيئك.

ضحك وعيناه تلمعان بين رموش قصيرة سوداء.

ـ وهل ستجرين مخالبك؟ اذا اردت تخديشي، عليك فعل شيء آخر.

تأسفت للصباحات التي قضتها معه. كرهته فجأة، كانت كراهيتها له من العنف بحيث اصابها الذهول، ذلك انها لم تكره احداً في حياتها من قبل.

ـ اكرهك.

ـ انت لست اول من قال هذا، لقد سبقتك كثيرات.

وهنا تذكرت دون وهي ترميه بكأسها قائلة انها تكرهه. وحالاً حقدت على نفسها، لأنها لم تكن بأحسن من دون.

تأملها ملياً، تأمل وجنتيها السمراوين بفعل اشعة الشمس.

ـ اعترف انك لم تقولي سابقاً شيئاً بهذه الحدة.

وتملكتها الخيبة لأنه لم يبد غاضباً لكلامها. الا يفقد اعصابه ابداً؟ حتى انه عندما تشاجرا على الشاطىء لم يغضب.

ـ اعني ما اقول، لا اقول اي شيء لا اعنيه. اكرهك لأن... آه، لأن...

ادركت انها اذا اخبرته لماذا تكرهه، فانه سيمتلك سلاحاً جديداً ضدها، وهكذا توقفت، صدرها يرتفع ويهبط تحت قميص من القطن الازرق، عيناها داكنتان وقلقتان، بلون البحر عند هبوب العاصفة.

ـ لأني ايقظتك من الحلم الى الحقيقة. صاحبك جو ليس كما

يجب، هل يتوقع ان تتزوجيه من دون معرفة شيء في امور الحياة؟

- اني اعرف حقائق الحياة.

لكنه لم يكن خطيبها، ولأنه لم يكن خطيبها ولن يكون، سيطر عليها شيء من الخوف. ولكي لا يكتشف ما في قلبها ادارت رأسها الى الجهة المعاكسة.

- هل تخطيت الحدود؟ هل من الممكن ان اكون على حق، وان جو لم يكن يطلعك على اسرار الحب؟

ظلت صامتة واعلن صمتها ثانية ما في قلبها.

- اذن لماذا الزواج منه؟

- كفى، لقد تخطيت الحدود، لا علاقة لك بحياتي الخاصة. على كل حال، بالكاد اعرفك.

- بل يعرف واحدنا الآخر من سنوات، ميراندا.

- بعد اسابيع قليلة اعود الى لندن، وكل شيء يصير ذكرى.

- ذكرى توقظك في الليالي. بالمناسبة اني اسافر احياناً الى لندن، ولي فيها شقة. في استطاعتنا ان نلتقي، في لندن اماكن رومانسية.

- لا، لن يكون في استطاعتي لقاؤك، هذا غير اخلاقي، لا اريد اي علاقة بك.

- بسبب ما قاله انغرام عني؟ بسبب دون؟ اذا قلت لك لماذا. . .

قالت صارخة، مقاطعة اياه:

- لا احب ان اسمع!

راحت تبتعد، لكن يده على ساعدها اوقفتها.

- لا تهربي، اعدك باني لن اغضبك. نحن قريبان الآن من

خرائب سانت بيار، انظري، هنالك برج احدى الكنائس، انه يذكرني بقصة سمعتها عن احد الناجين من الهلاك. كان يعزف الحان موسيقاه في الكنيسة، حين ثار البركان، فاحتمى تحت آلته الموسيقية ونجا كي يخبر الحكاية. الحكاية تسحرني لأني احب ان اعتقد انه نجا بسبب حبه للموسيقى.

تطلعت اليه. في الصباح الصافي بدا وجهه الجميل مظللاً، تذكرت انه وصف نفسه مرة بالحزين، ما سبب حزنه؟ هل هو موت ابويه حين كان طري العود؟ هل هو عمى احده؟ ماذا اضافت جوزفين الى حزنه؟ هل الحزن هو سبب سلوكه الجنوني احياناً؟

ـ المصيبة اثرت بشكل خاص على اهالي الجزيرة. زرعت فيهم وفي ابنائهم افكاراً مختلفة. بين ليلة وضحاها شعروا بالقلق من الوجود قريباً من بركان يمكن ان يثور في اية لحظة.

كانت الشمس حارة على رأسها، لهذا كان لا بد لها من الجلوس في الظل لتدليك جسمها بالزيت.

اخيراً في الصباح وصل اليخت الى المرفأ. وبعد الاتفاق على موعد الغداء، اصطحبت السيدة انغرام وخوانيتا الى المدينة لابتياع بعض الحاجيات. وفي شوارع المدينة كانت المتاجر الحاوية انواع الثياب، والنساء في البستهن الوطنية وبعضهن في البسة عصرية، يبعن الفواكه.

كانت السوق على امتداد جسر ضيق عند مدخل المدينة. وعلى الضفة الأخرى قوارب صيد مطلية بالازرق والبرتقالي، بينما كان الصيادون يعرضون الاسماك الطازجة.

ـ حرارة النهار اجبرتهن على العودة الى مركز المدينة الرئيسي، الى مقهى رصيف حيث اللقاء مع الآخرين.

- اني سعيدة الآن لوصولنا باكراً. المجيء في هذا الوقت يتيح لنا المجال لمشاهدة المكان. لا بد من القول ان بعض النساء جذابات.

تلفتن لاشباع فضولهن، ثلاثة اشخاص على المائدة القريبة: امرأتان ورجل. واحدة لفتت الانتباه، طويلة ونحيلة، تلبس بنطلوناً ابيض وقميصاً اخضر، ذات قسمات شاحبة وشعر طويل اشقر.

- انها تشبه جوزفين، اليس كذلك، يا دون؟ (سألتها خوانيتا).

- كيف لي ان اعرف ذلك ولم ار جوزفين قبلاً؟ (اجابتها دون بعصبية).

- آه. اتقصدين جوزفين نابوليون؟ (سألتها السيدة انغرام ببراءة).

قالت دون من طرف فمها:

- لا. انها تقصد جوزفين روجر.

سألتها السيدة انغرام:

- ومن هي؟ صديقته؟

- كانت هناك علاقة بينهما. من الصعب المعرفة بالتأكيد، وروجر لن يقول (أجابتها دون بمرارة خفية) الارجح عند الفرنسيين كلمة لذلك. انهم يسمونها وسيطة خطرة. هل تظنين انها النعت الصحيح، خوانيتا؟ تعرفين اكثر مني في هذه المواضيع، رغم اني سمعت من مصادر موثوقة ان لطوم ضلعاً فيه.

بدت خوانيتا قلقة، وخاطبت زوجة ابيها قائلة:

- انتبهي لما تقولين يا دون.

- لماذا؟ فأنت لا تفشين سراً اذا قلت ان رجال غالنت ليسوا

اتقياء. (وفجأة ضحكت وأكملت) روجر وانا كنا البارحة في حفلة راقصة. وافق مدير الفندق على ان اغني في الملهى، غنيت بعضاً من اغنيات روجر، مما اثار الحضور.

قالت خوانيتا:

ـ انها ذاهبة.

كانت تراقب المرأة اللابسة الأبيض والاخضر.

ـ آه، يا الهي... روجر قادم. لنفرض انها جوزفين، ويراها.

ـ ستكون ردة فعله موضعاً للنظر، خصوصاً ان الكل يعتقدون ان جوزفين ميتة.

قالت خوانيتا:

ـ لم يكن هذا اكيداً. فقط اختفت.

سألت دون بجفاف:

ـ حسناً؟ هل نحن الآن اكثر معرفة؟

ـ في الحقيقة، لا. روجر يخفي دائماً احاسيسه الحقيقية، وهو دائم الاهتمام بالمرأة الجميلة. (قالت خوانيتا متنهدة) ها رامون وتشك في صحبة الوالد، وهكذا يمكننا الذهاب الى الغداء حالاً، فانا جائعة كثيراً.

وبعد الغداء ركبت ميراندا سيارة مع السيدة انغرام وخوانيتا وتشك لرؤ ية مكان ولادة جوزفين زوجة نابوليون.

بعد ذلك كانت نزهة في السيارة على الجزيرة. شواطىء بيضاء تلمع، شباك صيد معلقة، زهور برية، قرى صغيرة تحت الشمس واشجار عالية على طول الطريق.

عادوا الى اليخت واخذوا حاجيات السباحة والألبسة المسائية قبل

عبور الخليج الى الفندق حيث العشاء والرقص. وحده السيد انغرام كان على اليخت، اما روجر فلم يكن قد رجع بعد. وفجأة قال السيد انغرام بلهجة صارمة:

- اود ان اتحدث معك يا ميراندا قبل ان تخرجي الى السباحة.

- نعم، يا سيد انغرام. هل من رسائل لي؟

- كلا. ربما لك بعض الرسائل في غرينادا حيث سنكون غداً. يجب الا نستمر هكذا من دون نتيجة، فالشركة تضغط علي. هناك جزيرة اخرى للبيع. لا بد من التوقف عن محاولاتنا مع عائلة غالنت، والسفر الى الجزيرة المذكورة، رغم عدم شعوري بالارتياح ان رجلاً ماجناً مثل روجر قد هزمني.

- روجر لن يسمح بالصفقة، انه يفضل اخته على كل شيء.

- اخته! انها المفتاح، علينا رؤيتها، ربما هناك فرصة، شكراً لك، يا ميراندا. والآن اذهبي الى الفندق وطيبي خاطر تشك الذي بدأ يفقد صبره.

ذهبت ميراندا الى الفندق حيث انضمت الى تشك وخوانيتا ورامون. وهنا قال تشك مخاطباً خوانيتا:

- علينا حل قضية روجر.

- اعرف. انه ودون يتصرفان بطريقة غير مستحبة.

- ليس هذا ما اعني. فانا مهتم بصفقة الترانسماربن، يجب ان احصل على المال. بوب مديون حتى اذنيه، وانا كذلك.

- آه يا تشك (قالت خوانيتا بلطف) رامون يساعدك.

- طلبت منه المساعدة، ولكن بلا نتيجة. يبدو الآن ان الطريقة الفضلى هي في اقناع روجر بالموافقة على البيع. انه لا يعيش هناك،

وما من مصلحة له في تنمية المكان.

ـ ليس في استطاعتنا فعل اي شيء الى ان نلتقي مارني ونكلمها في الموضوع، فاذا وافقت فان روجر لن يعترض.

ـ ربما نحصل على موافقتها اذا جعلناها تعرف كم هي ضرورية ومفيدة لنا جميعاً هذه الموافقة. وروجر مستعد ان يلبي لها كل طلباتها فهي تجعله يشعر بالذنب لأنه المسؤول عن عماها. هل لديك فكرة عن السبب؟

ـ لا. الا اني اعرف انها الوحيدة التي تعرف الحقيقة عن جوزفين. هل قلت لك اننا رأينا واحدة تشبهها في المقهى هذا الصباح؟

انخفض صوتها، ولم تعد ميراندا تسمع اي شيء. بكلمات قليلة استعادت ذكرى تلك المرأة التي شاهدتها في المقهى، وابتسامتها لروجر، وتردده حيال لقائها، وملاحقته لها بعينيه. هل ظن هو ايضاً انها جوزفين؟ واية علاقة كانت لها معه؟ وحدها مارني تعرف الحقيقة.

تنهدت ميراندا تخفي رأسها تحت ساعديها. ودت لو لم تسمع هذا الحديث. جفلت ثانية من الطريقة التي يتعامل بها افراد غالنت بعضهم مع بعض. جميعهم اشرار.

تمنت لو كان هناك واحد بينهم خارج هذا الصراع كي تتحدث معه. مشكلتها ان احاسيسها دائماً كانت تجرفها. ربما من الأفضل لها لو تتزوج جو، فهو رزين وسليم الطوية.

فجأة بكت. هل من رسالة تنتظرها في غرينادا؟ هل افتقدها جو في الاسبوعين الاخيرين؟ حاولت ان تتخيله فلم تستطع. كذلك كانت حالها بالنسبة الى العمة كلارا ودورثي. في الحقيقة ليس من السهل عليها ان تتخيل مكان ولادتها المجلود بالريح الباردة وهي على

هذا الشاطىء تحت الشمس الناعسة.

ـ اسرعي، ميراندا (قال لها تشك بالحاح) سباحة اخيرة قبل تبديل ثيابنا للعشاء وبعد هذا سنقضي اجمل امسية معاً.

كانت الشمس تغيب تاركة وراءها غيوماً قرمزية. اما تشك فقد كان في احسن حالاته، كأن مرحاً ومستعداً لأنواع المزاح، وكان يعتقد ان الأمل لم يمت بعد في اقناع روجر ببيع حصته.

ذهبت معه للسباحة، ومن ثم مع خوانيتا لارتداء لباسها البسيط الذي جاءت به من انكلترا. كان لباسها شاحب اللون وعالياً عند الخصر، وكان شعرها مرخياً على شيء من الفوضى. وحين تطلعت في المرآة بالكاد تعرفت الى شكلها، اذ بدت صبية انيقة.

قصدوا المقصف قبل العشاء. كان وجود روجر مفاجئاً، كان يتحدث مع السيدة انغرام، غير انه تطلع الى خوانيتا وميراندا حين دخلتا. تبسم لخوانيتا رافعاً يده محيياً، نظرته عبَرَت ميراندا لتعود اليها حتى كأنه لم يميزها للوهلة الأولى. لم يبتسم او يلوح لها اذ كان يتأمل مظهرها ببطء، لكن اثراً غريباً بان على وجهه قبل ان يعاود النظر الى السيدة انغرام ويمنحها اهتمامه الكلي.

لم يكن من اثر لدون، وحين سأل طومس روجر عنها اجابه الأخير انه لا يعرف شيئاً عن مكان وجودها، وعندما لاح الغضب على وجه طومس تدخل السيد انغرام بلباقة واضعاً ذراعه حول كتفي طومس، ودخلا معاً غرفة الطعام.

وبعد العشاء حان موعد الرقص تحت اضواء خافتة وسط موائد وكراسي صغيرة. بادىء الأمر استمعوا الى بعض الاغنيات المحلية وشاهدوا الرقص الشعبي برفقة القيثارات والطبول. ثم ظهرت فرقة رقص صغيرة وراحت تعزف انغاماً راقصة معروفة، بدأ الرقص كل

اثنين معاً. في هذا الوقت اتكأت السيدة انغرام واخذت تتبادل الحديث مع واحد خلفها في الظل. تطلعت ميراندا في الاتجاه نفسه فرأت روجر جالساً وحده بهدوء.

تنهدت الريح خلال النخيل حاملة معها رائحة الزهور، وفي السماء المخملية خلف الأضواء الملونة كانت النجوم تشع معكوسة في البحر.

بدأت الفرقة الموسيقية تعزف نغماً راقصاً رومانسياً، وشاهدت الراقصين يلتحمون. لامست يد كتفها فعرفت للحال صاحبها للرعشة التي تسربت الى اعصابها.

سألها روجر:

ـ اترقصين معي؟

كانت خائفة ان ترقص معه على ذلك النغم الرومانسي، غير انها لم ترفض لئلا تبدو غليظة، ومن دون ان تنظر اليه احنت رأسها ونهضت ووضعت يدها على كتفه بينما احاط ساعده بخصرها وراحا يرقصان.

ارادت ان تتراجع وتتصلب في اثناء الرقص معه، محاولة الابقاء على مسافة بينهما، لكنها بعد ثوان وجدت نفسها تقترب منه ورأسها على كتفه. رقصا معاً من دون عناء او تصنع كأنهما خلقا ليكونا رفيقين.

سألها روجر برقة:

ـ ماذا فعلت اليوم؟

ـ ذهبنا الى بيت جوزفين (اجابته من دون تفكير) اعني مكان ولادة جوزفين نابوليون.

ـ كانت امرأة قوية، شغلت نابوليون اكثر من جيوش اوروبا

مجتمعة. على كلٍ، اهذا كل ما فعلت؟
- تنزهنا حول الجزيرة. الآن افهم سبب تسميتها جزيرة الزهور.
- الفرنسيون يسمونها الجزيرة التي اليها بدأ يعود الانسان.
- وهل زرتها من قبل؟
- هذه زيارتي الثانية.
وبسرعة ارادت ميراندا معرفة من هي جوزفين، فقالت:
- رأينا هذا الصباح امرأة فائقة الجمال في المقهى، بشرتها سمراء، شعرها اشقر. وذكرت خوانيتا انها تشبه امرأة عرفتها، امرأة كنت تعرفها.
- خوانيتا تكثر من الكلام، انها عادة سيئة عند النساء. لا تقعي فيها يا ميراندا، فأنا اريدك كما انت، هادئة ومتحفظة، رأيت المرأة التي تقصدين، لم تكن تشبه جوزفين.
توقفت الموسيقى، بينما ظلت الطبول تقرع. ظهر رجل في دائرة مضاءة واعلن عن مغنية تلك الليلة دون ان يسميها.
وثانية عزفت الموسيقى، موسيقى اغنية «نجوم في البحر»، فأخذ روجر ميراندا بعيداً عن المسرح الى زاوية معتمة عند درج يؤدي الى حديقة الفندق. اضاء المسرح، فظهرت امرأة طويلة وجذابة يلفها ثوب جميل يزيد من تألق شعرها المسترسل على كتفيها وراحت تغني بصوت مؤثر. انها دون... جميلة تملأها الحيوية، تغني الأغنية التي جلبت الشهرة لروجر.
اذن، خوانيتا ونفسك على حق في اعتقادهما ان دون وروجر يتآمران على طومس. هكذا قالت ميراندا في نفسها متطلعة الى طومس كي ترى تعابير وجهه. غير ان روجر سحبها وراءه مسرعاً الى ظلمة الحديقة العطرة.

احست بنشوة عارمة وهي تعدو معه في تلك الليلة الدافئة، شعرت بالمرح والانتعاش. وعند بلوغهما الشاطىء الرملي توقف روجر والتفت اليها وراح يغني قصيدة من «العاصفة» لشكسبير كان قد لحنها، قصيدة مطلعها: «تعالي الى هذه الرمال الشاحبة».

وحين توقف عن الغناء جذبها اليه، فارتدت ميراندا الى الوراء متسائلة:

- لماذا جئنا الى هنا؟

- اولاً، حتى نتجنب غضب طومس لدى رؤيته زوجته تغني.

- ايها الجبان، لقد شجعت دون على الغناء كي تعذبه.

- بل فعلت هذا تلبية لارادتها. ان غناءها رائع، ومن المؤسف ان تظل موهبة كهذه مهملة طوال حياتها.

- ولكن سيغضب هذا ابن عمك، لأنها ستتركه في النهاية اذا استمرت في هذه المهنة.

لم يجب روجر، رأت انه ما زال يمسك بيدها مصغياً الى النغم البعيد. كذلك كانت ميراندا تصغي. قالت هامسة بحياء:

- احب موسيقاك.

- شكراً (اجابها بتهذيب وغموض).

- يجب ان تفرح لنجاحها.

- ليس بالضبط. ليست الموسيقى التي اريد تأليفها، الفتها من اجل صديقي كيث ويليامز.

- وما الموسيقى التي تريد تأليفها؟

- ربما موسيقى احسن من موسيقى الأفلام.

وحين توقفت الموسيقى البعيدة وعلا التصفيق، قال روجر:

- لقد نجحت.

تساءلت ميراندا بشعور مشوب بالحسد عما اذا كان يحب دون ويريد اقناعها بهجر طومس الى الأبد. حاولت الافلات منه، فلم تستطع.

ـ وعدتني انك لن تغيظني.

ـ ذلك الوعد كان في النهار، اما الآن، فانه الليل الاستوائي الناعم، ونحن ثانية على شاطىء رملي تحت النخيل، وفي وضع رومانسي رائع.

تمشيا على طول شاطىء البحر الهامس متشابكي الأيدي صامتين ، فهما لم يعودا في حاجة الى الكلام ، لا شيء سوى سحر انغام البحر وعطر الزهور وهمس النخيل.

ـ من كانت جوزفين؟

ـ هل يجب ان تعرفي؟

ـ وهل من اعتراض؟

ـ ما دمت لا تستخدمين معرفتك ضدي.

ـ لن افعل ذلك.

ـ كانت جوزفين مدبرة منزل طومس لوقت قصير، كانت جميلة، جذابة كالمرأة التي رأيتها اليوم.

ـ ماذا حل بها؟

ـ هربت.

ـ لماذا؟

لم يجب روجر. وصلا الدرج المؤدي الى مكان الرقص. افلت يدها، فأمسكت بذراعه لشعورها انه سيتركها للحال.

ـ لماذا ، روجر؟

ـ لا استطيع ان اخبرك. طبت مساء، هنا طريق كل منا في اتجاه

مخالف.

ثم اسرع مبتعداً في الظلال، وظلت وحدها.

٥ - كل شيء كان اغنية قصيرة، او ربما حلماً للذكرى بين حين وآخر، حلماً لم يتحقق. سبحت الى حيث صارت المياه عميقة، الى حيث الخطر. وفجأة سمعت صوتاً يقول: «لن اتركك تغرقين!»

نهضت ميراندا باكراً كي ترى اليخت يترك المرفأ لحظة كانت السحب القرمزية وراء جزيرة الزهور، وشعورها انها لن تعود الى هذه الجزيرة كان اعمق من ان يوصف. بدت هادئة ومتماسكة، شعرها يتطاير الى الخلف، ولولا اثر الشمس على وجهها لكانت نفس الفتاة التي تركت مطار سان خوان من اسبوعين، الا انها كانت تعرف انها داخلياً تغيرت كثيراً.

لن تكون هناك نزهات مع روجر بعد الآن على الشواطىء، وفي الليل. كل شيء انتهى، كل شيء كان اغنية قصيرة، او ربما حلماً

للذكرى بين حين وآخر، حلماً لم يتحقق.

وبينما هي على سطح اليخت رأت جزراً ضبابية تعبر، فشعرت بشيء من الارتياح لسماعها المياه ترتطم باليخت الذي كان يندفع جنوباً. قريباً تكون في غرينادا حيث رسالة من جو ربما في الانتظار.

لم ينضم اليها احد ذلك الصباح على اليخت، وما من احد كان يتناول فطوره. وحده بيلي الذي كان متحمساً للعودة الى مسقط رأسه، قال لها:

ـ نعم، ايتهـا السيـدة، انها جـزيرة حلوة، لن تنسي توابلها.

سألته ميراندا وهي تأمل في ان يكون سكان غرينادا جميعهم مثل بيلي طيبين:

ـ وهل التوابل وحدها تنمو هناك؟

ـ هناك الموز، والتفاح السكري، والأطفال.

فجأة ظهرت دون. بدت باردة، جميلة وقاسية جداً.

ـ قهوة، اذا سمحت، قهوة سوداء والكثير منها. لا شيء آخر.

جلست دون قبالة ميراندا تتأمل خديها المضيئين وشعرها الشمسي. وسألتها بوقاحة:

ـ اما من غالنت يشاركك في هذه الصبيحة اليوم؟

اجابتها ميراندا محاولة ان تتجنب الموضوع:

ـ كان غناؤك رائعاً الليلة الفائتة.

ـ لا تغيري الموضوع، كم بقيت على الشاطىء مع روجر الليلة الماضية؟ طبعاً، مدة كافية للحصول منه على معلومات. لماذا خرجت اذا كان غنائي اعجبك؟ اظن انك وجدت الوقت مناسباً لتنفردي به

بعض الوقت، ما من امرأة قادرة على الاحتفاظ به.

- ولا حتى انت؟

- كان في استطاعتي الاحتفاظ به لو قبلت شروطه. انه مهتم بعلاقات قصيرة مع النساء. كنت يومها رومانسية جاهلة اسعى وراء علاقة دائمة، وهذا ما قدمه طومس، فقبلت.

- لا رغبة عندي في الاحتفاظ بأي رجل، لا سيما روجر، فهو ليس من النوع الذي يجذبني. هذا الى اني سأتزوج فور عودتي.

- آه، شيء يثير الاهتمام، وهل روجر على علم بذلك؟

- نعم.

- افهم الآن لماذا حزت اعجابه لفترة. انك غير النساء اللواتي يعرفهن، فهو يريد سبر اغوارك. يريد ان يعرف اذا كان في هذه المياه الهادئة من اسرار، وربما خاب امله حين عرف انك فتاة طيبة تنتظرين الزواج من آخر عادي. مسكين روجر! انها ليست المرة الأولى التي تنهار فيها احلامه، وانهيار هذه الاحلام يجعله عاشقاً قاسياً ومثيراً للاهتمام.

- وهل هو حبيبك؟

- ليس حتى الآن، غير انه سيكون فور انتقامه من طومس.

وعند ظهور الخادم بيلي حاملاً القهوة توقف حديثهما، فتركت ميراندا المائدة. ظلت مشغولة طوال النهار بكتابة بعض الرسائل للسيد انغرام الذي بدا تعباً وقلقاً، وحين انتهت من الرسائل ارادت الخروج لرؤية الجزر عند المغيب. وهنا سألته:

- هل هذا كل شيء؟

اجابها، وكأنه استيقظ من تأمل عميق:

ـ اجلسي، يا ميراندا. هل رأيت ما حصل من سوء بين طومس وزوجته الليلة الماضية في الفندق؟

ـ كلا، كنت اتمشى خارجاً.

ـ مثل روجر غالنت، فعل حسناً بالاختفاء تلك اللحظة. يبدو انها وعدته يوم تزوجا انها ستترك الغناء في النوادي الليلية.

ـ لكن صوتها جميل.

ـ ربما، لكن ذلك لم يكن مساعداً لي، اتهمني طومس امام الجميع بأني اشجع علاقة دون وروجر، كانت التهمة مربكة.

تطلعت ميراندا الى يديها وهي تخفي ابتسامة. الم يكن هذا بالضبط ما فعله السيد انغرام؟ شجع دون على ملاحقة روجر فارتد كل شيء عليه، ملحقاً به ضرراً لم يتوقعه؟

ـ على كل حال، لم نتمكن من تحقيق اي شيء.

تابع السيد انغرام يقول:

ـ لا استطيع الحصول على اي تعهد من روجر، املي هو في ان تبقي تشك سعيداً. حتى الآن لم تقدمي المساعدة المطلوبة، وعندي بعض الشكوك انك تركت احاسيسك تلعب دورها في القضية.

تركت ميراندا المكتب شاعرة بنهاية جو الاسترخاء. وبقي طومس في حجرته كل النهار. اما تشك فبدا هادئاً وخوانيتا ورامون لم يظهرا للعيان.

وحدهما دون وروجر لم يظهرا متأثرين باحداث الليلة السابقة، كانا يتحدثان بهمس، واحياناً يضحكان.

ـ انها لا تعرف الحياء (قالت السيدة انغرام عن دون) هكذا هم جميع الذين يرتبطون بعالم اللهو.

كان اليخت يبحر تاركاً وراءه في المياه نجوماً، وبينما كانت ميراندا متكئة على درابزين اليخت سمعت همساً وراءها مصدره روجر ودون، فتركت المكان متجاهلة الغيرة التي شعرت بها ومتسائلة في نفس الوقت عن سبب شعورها بالأذية الناتجة من صحبة روجر لدون.

دخلت حجرتها، وراحت تصغي الى الموج المتلاطم على جوانب اليخت. غداً، متى افاقت، ستكون في المرفأ، وبالتأكيد هناك رسائل تنتظرها من العمة كلارا ومن جو، مما سينسيها الألم الذي سببه اهمال روجر لها.

نامت على هدير محرك اليخت، وحين استفاقت كان اليخت قد توقف. نظرت من كوة اليخت فرأت سطوح البنايات مغطاة بقرميد يلمع تحت الشمس. وخرجت الى السطح، ومنه رأت الاشرعة والقوارب يقودها اولاد سمر قادمون لملاقاة اليخت المتجه الى المرسى.

نزلت ميراندا من اليخت بلباسها الصيفي ونظارتيها الشمسيتين. رأت اهالي الجزيرة ينتظرون السياح، وبسرعة احاطوا بها معلنين اسماءهم واستعدادهم لمساعدتها في مشاهدة الجزيرة.

ضحكت من دون ان تعرف من تختار من هذه الوجوه الباسمة، واخيراً وقع اختيارها على فتى بدا اكثر فتوة واكثر حاجة من الآخرين.

اتجهت معه الى وسط المدينة في سيارة قاصدة لورا بالتون.

ولدى بلوغ الشارع المقصود ترجلت من السيارة لترى ان كانت لورا في محلها التجاري، بينما بقي الفتى في السيارة ينتظر.

كانت لورا في السابعة والعشرين من العمر تقريباً، شعرها اشقر،

زرقاء العينين، تتوق الى رؤية انسان من انكلترا.

اصطحبت ميراندا الى الغداء. عبرتا بيوتاً خشبية ذات شرفات، امامها نسوة يتبادلن الاحاديث. وفي الطرقات بنات مدارس عائدات، وعلى ملعب قريب من معمل كان فريقان يلعبان الكريكت.

عند وصولها الى البيت تركهما الفتى على ان يعود في وقت لاحق. وفي البيت تناولتا الغداء وتجاذبتا اطراف الحديث. وحين سمعت لورا من ميراندا عن رحلتها بين الجزر، قالت لها:

ـ رحلتك خيالية. انا مهتمة بأخبار عائلة غالنت، لا اظن ان هذه العائلة على استعداد لبيع عقارها.

ـ وهل تعرفين احداً منهم؟

ـ سمعت بهم. كل واحد هنا يسمع عن روجر غالنت بسبب اغنيته. كذلك اخته ماري تعرف تماماً كيف تستغل امكانات عقارها في هذه الجزيرة.

ـ ولكن، كيف يمكنها ذلك؟ اليست عمياء؟!

ـ انها كذلك، لكن عندها احساساً بالأرض. غرست كل انواع اشجار الفواكه، ومدير اعمالها اوبري يقوم بالعمل وهي تقدم اليه الافكار. يقال انهما متحابان، غير ان اوبري لن يتقدم بطلب الزواج منها.

ـ لماذا؟

ـ لا ادري. قد تعرفين متى وصلت الى هناك. اما في خصوص روجر فقد قام بزيارة اخته مرة هنا، ومع انه يبدو قريباً في الظاهر، فانه صعب، عنده تحفظ عميق كأنه لا يريد ان يعرفه الآخرون.

وافقتها ميراندا، ثم انتقلتا الى مواضيع اخرى وهما تتناولان

الغداء على الشرفة المطلة على البحر. مضى الوقت بسرعة. وبعد ساعتين تابعت سياحتها مع الفتى الذي كان يقود سيارته بطريقة جنونية مستخدماً الزمور عند المنعطفات كي يتأكد من عدم وجود صغار على الطريق.

وبانت الحقول المزروعة بعد مساحات الموز، ثم انعطفا نحو طريق جديد بين صفوف شجر النخيل الطويلة.

وعادت الى الفندق بعد ان دفعت للفتى اجرته شاكرة اياه.

وحين وصلت الى مكان الاستقبال عرفت من امرأة هناك اين هي السيدة انغرام.

- كم انا سعيدة لرؤيتك، يا ميراندا (قالت السيدة انغرام بصوت هادىء) نحن في حالة رهيبة، ليتك لم تذهبي لزيارة صديقتك، روجر ودون اختفيا من جديد، ودوغ يتفاوض مع شخص عنده جزيرة مستعد لبيعها الى الترانسمارين. خوانيتا ورامون عادا الى سان خوان، مع الأسف. اذ ان خوانيتا لم تكن في حالة جيدة، فرأى رامون انه من الأفضل ان يعيدها الى المنزل لتكون قريبة من الطبيب.

سألتها ميراندا متطلعة حواليها:

- واين تشك؟

- ذهب الى الشاطىء. ابحثي عنه، فانا خائفة من ان يختفي كذلك، ونبقى مع طومس الذي لا يطاق.

كان الشاطىء من اجمل ما رأت ميراندا، كان ممتداً اميالاً واميالاً. وجدت تشك تحت النخيل يساوم جماعة من البائعات.

رآها تقترب، وحياها بابتسامة عريضة، وقال:

ـ اني احاول ان اساومهن على ثمن هذا القميص قدر المستطاع.

كان الكثير من الضحك والمزاح في اثناء المساومة، وحين انتقلت البائعات الى مكان آخر من الشاطىء قال تشك مازحاً:

ـ آمل ان يعجب الرفاق في واشنطن بقميصي. وانت، هل فكرت بما ستفعلين في لندن بهذه التنورة التي اشتريت؟

ـ سألبسها في المنزل، وحين افعل، سأذكر انك ترتدي هذا القميص في واشنطن.

ـ صحيح؟ خبر مفرح، انك طيبة، ما علاقتك بقراصنة امثالنا؟ اني سعيد انك جئت الى الشاطىء لو كان في حوزتي من المال ما يكفيني لعدت الى بلادي حالاً. تعبت من نزهة انغرام البحرية. انها لم توصلنا مع روجر الى اية نتيجة، لماذا لا يعترف انغرام بالهزيمة؟

لم تجبه ميراندا، وخوفاً من ان يصير عاطفياً عرضت عليه السباحة، فقبل. وبعد السباحة عادا الى الفندق، ومنه الى اليخت لأن السيد انغرام كان يريد السفر حالاً الى فورتوغا.

تأخر السفر قليلاً بسبب عدم وصول دون وروجر، واخيراً بان روجر مع امرأة سمراء غير دون.

سأله زوجها طومس:

ـ اين دون؟

ـ لا اعرف. قالت انها قد تعود الى اليخت، هل بحثت عنها في الحجزة؟

وهنا تدخل السيد انغرام قائلاً بلهجة مثيرة:

ـ اريد الوصول الى فورتوغا بأقصى سرعة.

اجابه روجر ببرودة:

ـ ولماذا لا تصدر اوامرك بالرحيل؟

وهكذا كان. عندها هبطت ميراندا الى حجرتها واستحمت. فكرت في ان تبوح لروجر بالضغط الذي ستتعرض له اخته، غير انها احجمت عن ذلك. الم يقل لها تلك الليلة في حديقة الفندق انهما سيفترقان؟ عاصفة من الاحاسيس كانت تجتاحها، كانت تتحرق شوقاً الى روجر والى السير معه تحت النجوم. دقة على الباب اجفلتها، نظرت الى المرآة جامدة، خداها قرمزيان، وعيناها تبرقان بغرابة.

ـ انت هنا، يا ميراندا؟ انا زلدا، اتسمحين لي بالدخول؟ (دخلت الحجرة وجلست على الفراش تقول) اختفت السيدة غالنت، انها ليست في حجرتها.

ـ اين اختفت؟

ـ هنا المشكلة، لم تذكر اي شيء في البطاقة التي تركتها لزوجها طومس. فقد كتبت انها لن تعود معنا الى فورتوغا. طومس يكاد ينفجر. انه يتهم روجر بمعرفة تحركاتها.

ـ وماذا كان جواب روجر؟

ـ انه يعرف، لكنه لن يفضي بالسر قبل بلوغ فورتوغا.

ـ وماذا حدث؟

ـ مشهد رهيب، جن جنون طومس. رمى روجر بنعوت بذيئة. كنت افضل لو رد روجر عليه، غير انه جلس يراقب طومس وكأنه ظاهرة غريبة. عندئذ تدخل تشك واقترح على والده ان يجلس مع روجر للاطلاع منه على حقيقة الأمر. آمل في بقائهم معاً حتى نصل الى فورتورغا. في الحقيقة، سئمت كل هذه العملية، دوغ وانا نحاول تسلية اناس غريبي الأطوار، ما من احد أصعب من طومس غالنت

او اكثر غموضاً من روجر غالنت. على كل، ارجو الا تذكري اي كلمة قلتها لك. ان دوغ يعلق آمالاً كبيرة على الآنسة غالنت، اما اذا كانت مثل اخيها فاننا سنفقد كل شيء.

وصل اليخت الى فورتوغا حيث رسا في المرفأ. وهنا تقدم احدهم من روجر الذي خرج من حجرته بينما اليخت يقترب من المرسى. قدم نفسه الى افراد عائلة انغرام على انه سام ويليامز، شقيق كيت المغني، ومن ثم اعلن انه وابناء عمه سيقضون الليل على شاطىء غالنت فانسي، وانه سيرسل في الصباح التالي سيارة تقل عائلة انغرام وميراندا الى منزل في الطرف الآخر من الجزيرة.

مر الليل هادئاً، وفي صباح اليوم التالي تأخرت ميراندا في النوم. في الحقيقة، لم تكد ترتدي ثيابها حتى جاءتها السيدة انغرام تقول ان السيارة جاهزة لتقلها الى حيث ماري غالنت.

كان بيت ماري مدهشاً، قرميده انكليزي احمر، كلاسيكي في بنائه، متناسق وقائم على اعمدة بيضاء. وعند المدخل ثلاثة اشخاص كانوا في انتظار الضيوف.

بين هؤلاء الثلاثة كانت ماري التي بدت شبيهة باخيها من حيث قسمات الوجه، شعرها فاتح يخالطه الشيب، وعيناها تحت نظارتين شمسيتين، وهذا ما جعلها تبدو اصغر من عمرها الحقيقي. كان روجر يقف خلفها، والى جانبه رجل ممتلىء، اسود الشعر. انه اوبري فينسنت، مدير العقارات.

حين تقدمت ميراندا بحياء لتسلم على ماري، بادرتها هذه بالقول:

ـ اذن، انت ميراندا، ميراندا الكاملة التي لا مثيل لها. آمل الا يكون لديك مانع اذا ما لامست وجهك، اذ في مقدوري معرفة

الكثير عن الشخص من خلال تقاطيع وجهه. انها ميزة ورثتها عن امي التي كانت صغيرة وجميلة، اما روجر فانه اشبه بالقرصان، مع انه يحاول ان يبدو غير ذلك.

ولاحقت بيديها تقاطيع وجه ميراندا.

ـ شعرك جميل يا ميراندا، انه حريري وناعم، لكن شفتيك حساستان، ويظهر انك تأذيت حديثاً، عسى الا يكون السبب اخباراً سيئة من الأهل.

وهنا تذكَرت ميراندا الرسالة التي وصلتها اخيراً من العمة كلارا، وفيها اخبار مذهلة، لكن كيف تمكنت مارني العمياء من معرفة هذا كله؟

ـ آسفة يا ميراندا، ستتوطد معرفتنا اكثر عندما يحين الوقت، ربما تخبرينني عندئذ عن سبب الملك. ما لون عينيك؟ فاللون شيء لا استطيع تحسسه.

ـ لونهما ازرق كأكثر الانكليزيات. ما انا الا فتاة عادية.

ـ غير صحيح، فأنت لست عادية، انت لطيئة تحتفظين بأفكارك واحاسيسك لنفسك. فالمرأة التي يبعث ذكرها الخوف في رجل لئيم مثل روجر لا يمكن ان تكون عادية. على كل، انا اهمل واجباتي كمضيفة، هاتي يدك ودعينا ننتقل الى الغداء.

بعد الغداء ذهب السيد انغرام وزوجته مع مارني، وبعد دقائق تبعهم اوبري، فوجدت ميراندا نفسها وحيدة مع روجر. وحين لم تعرف ما تقول له حاولت اللحاق بالآخرين، فاذا به يقف في طريقها، ويقول:

ـ سنقضي بعد الظهر في العمل. اقترح عليك البقاء هنا في الخارج، في استطاعتك التنزه في الحديقة. اني متأسف لأني لا

استطيع ان ادبر لك جليساً يؤنسك، ذلك ان تشك ليس هنا.

ـ أين هو، وأين والده؟

ـ امورهما ليست من اختصاصك. حاولي نسيانهما.

ـ ولكن ربما احتاج الى السيد انغرام، فاحياناً يطلب مني تسجيل الملاحظات.

ـ اعرف ذلك. انه يحتاج اليك حين لا تكون هناك مسجلة، ولكن ليس هذه المرة، يا ميراندا، هذه المرة انا اعطي الأوامر، لن يتسجل اي شيء يقال.

والتحق روجر بالآخرين، بينما راحت ميراندا الى البحر للسباحة. ولكن قبل بلوغها الشاطىء، تذكرت رسالة عمتها، فجلست تحت شجرة وراحت تقرأها. علمت من الرسالة ان اختها دوروتي هربت مع جو وتزوجته. «فعلت هذا من دون ندامة، لأنها احبت جو من زمن، وكانت تعرف انه يفضلها عليك رغم انه كان متردداً بادىء الأمر في الاقدام على هذه الخطوة».

توقفت ميراندا عن القراءة، وقعت الرسالة من اصابعها، وراحت تتأمل زرقة البحر الكاريبي تحت الشمس. لقد تزوج اختها دوروتي، لن يكون في استقبالها لدى عودتها في المطار فاتحاً ذراعيه قائلاً لها كم افتقدها. ان الزواج الرومانسي كان لأختها، وليس لها.

من الغريب ان ميراندا لم تتألم لخداع اختها لها بل انصب كل لومها على نفسها بالذات لأنها كانت تتخيل ان جو يحبها، وانها تحبه. هنا، عند هذا البحر الأزرق، وعلى بعد آلاف الأميال عن بلادها، رأت ان جو كان اكثر واقعية عندما قال لها مباشرة قبل سفرها، ان الغياب

سيمنحهما فرصة لاكتشاف مدى حبهما لبعضهما. انه لم يسايرها قط، بل هي التي كانت بسيطة ومملوءة باحلام رومانسية.

فجأة شعرت انها حرة. وقفت على قدميها وركضت فوق الرمل الناعم غاطسة في المياه. وكالعادة، كانت المياه تلامسها برقة، كانت الامواج تغريها بالسباحة وبالغوص، واخيراً عرفت سبب تعلق روجر بأرضه.

سبحت الى حيث صارت المياه عميقة، الى حيث الخطر، الى المكان المليء بالتيارات ، فسقطت في تيار بين صخرتين. وعبثاً حاولت الخروج، تعبت، جمدت اعصابها. وشارفت على الغرق. وفي هذه اللحظة سمعت صوتاً يقول:

- لن اتركك تغرقين، ليس الآن بما انك في غالنت فانسي، ميراندا. . .

كان هذا صوت روجر غالنت الذي حملها الى الشاطىء ولفها بغطاء.

سألت بصوت متعب:

- ماذا جرى؟

- سبحت بعيداً وسقطت في التيار. انك شديدة التعب، ستكونين بعد لحظات في فراشك في البيت.

- ولكن علي بالذهاب الى اليخت.

- ليس الآن، ايتها الصغيرة، مارني ستهتم بك.

وحملها الى البيت. تمكنت من سماع مارني تقول:

- لا تقلقي، استريحي الآن. روزي تقوم باسعافك. انها افضل ممرضة على هذه الجزيرة.

كانت روزي لطيفة صارمة، وكانت ميراندا مرهقة حتى النهاية.

وقبل ان تنتهي روزي من تجهيز الفراش كانت ميراندا مستغرقة في نومها. نامت نوماً عميقاً، وكان آخر ما رأته رسم كيوبيد، رمز الحب، مرسوماً في السقف.

٦ - اليخت رحل هذا الصباح. تركوها وحدها على الجزيرة مع هذا الرجل الذي يكون طيباً احياناً، او مأخوذاً في عزلة مع ذاته. وهنا معاناتها... في ان تكون قريبة منه جداً وبعيدة في نفس الوقت!

استفاقت ميراندا في اليوم التالي، وراحت تجول ببصرها من دون هدف، ومضى عليها بعض الوقت قبل ان تتذكر كل شيء. وعندما عادت الى رشدها رأت مارني الى جانبها. سمعتها تقول:

- اخيراً استفقت ايتها العزيزة، لا بد انك جائعة، لا شيء كالنوم، انه يشفي الأعصاب.

- هل نمت طويلاً بعد الحادث الذي ادى الى فقدان بصرك؟

- نمت وقتاً طويلاً.

- وكيف حدث ذلك؟

ـ ذات مرة ازعجت امرأة، وكنا معاً في المختبر الذي يخصني، فرمتني بالأسيد.

ـ لماذا؟ ماذا فعلت لها؟

تنهدت مارني ثم وضعت يداً فوق يد، واتكأت على الكرسي:

ـ من عشر سنين كنت بسيطة، وكنت متمسكة بالأخلاق ومستقيمة، لم اتردد يوماً في القول لأي كان انه على خطأ.

ـ ومن كان في اعتقادك على خطأ؟

ـ امرأة اسمها جوزفين. كان ابن عمي طومس في حاجة الى من يهتم بمنزله بعد ان هجرته زوجته مع الأولاد. فاختار جوزفين لهذا الغرض، كانت جميلة، وفي الحقيقة كانت له اكثر من مدبرة منزل. اعترف لك بهذا، يا ميراندا، لأني اشعر انك مثلي بريئة. ذات صيف قضى روجر عطلته في البيت. كان آنذاك في الواحدة والعشرين من العمر، شاباً، ولكن بالنسبة الي كان اخاً عاشقاً للموسيقى وقادراً على الاذية في نفس الوقت. امضى عطلته، كما تعود، في السباحة، في الغطس، في التزلج على المياه، واحياناً مع رفاقه القدامى. ثم لاحظت انه كان يتردد على غالنت فولي عند طومس، ورحت استغرب بادىء الأمر، خصوصاً انهما لم يكونا رفيقين. وصدفة عرفت انه كان يلتقي جوزفين، فانزعجت. ما كان علي ان انزعج، خفت ان يعرف طومس، وخفت مما قد تسببه جوزفين لروجر، خصوصاً انه اصغر منها سناً، وبريء مثلي. وارتكبت الخطأ، فبدلاً من مفاتحة روجر بالأمر طلبت من جوزفين موافاتي الى المختبر في البيت.

ـ وماذا قلت لها؟

ـ طلبت منها ان تترك اخي، وانذرتها اني سأخبر طومس بما تقوم

به خفية ففقدت صوابها وتناولت اقرب شيء طاولته يدها. كان انبوباً يحوي مادة حارقة، ورمتني به، وبينما كنت اصارع الألم، هربت ولم تظهر ثانية الى الآن.

- وهل كنت على حق؟

- كلا. عرفت اخيراً ان في استطاعة اخي الاهتمام بشؤونه. كان يحاول في اوقات فراغه تعذيب طومس. وعلى كل، فقد اجريت اكثر من عملية جراحية، لكن من دون جدوى، فرجعت الى فورتوغا لتنميتها غير ان روجر كان قد رحل، رحل في طريقه وحيداً حتى كتب تلك الأغنية التي اوصلته الى الشهرة.

قالت ميراندا:

- دائماً يشعر انه مسؤول عما حدث لك.

- وهل قال لك ذلك؟

- ليس مباشرة، لكني سمعته يخبر خوانيتا وتشك انه لن يبيع غالنت فانسي لأنها بيتك، وانك اذا عشت في مكان آخر ستذبلين وتموتين، وذلك سيضاعف من وخز ضميره.

- هذا صحيح، لا اقدر العيش في مكان اخر، ان هذا المكان مهم بالنسبة الي الى درجة اني انسى انه يخص روجر بالوراثة. انه يبدو ابداً مأخوذاً، متى انكب على عزف الموسيقى. انه يؤلف الآن، اتسمعين البيانو؟

- اسمعه.

وهنا توقفت مارني تقول:

- يكفي ما حكيت عن مشاكلي اليوم. سأقول لروزي ان تجهز لك الطعام، ولروجر انك استفقت. هل تمانعين في مجيئه لرؤيتك؟

كانت تتمنى رؤيته لشكره على انقاذه اياها.

ـ احب رؤيته.

قالت هذا ببساطة، فأبتسمت مارني منحنية قبل ان تخرج.

تنهدت ميراندا، انها تعرف ان ما اخبرتها به مارني كان بمثابة انذار لها كي لا تأخذ روجر في صورة جدية. وبينما هي غارقة في تصوراتها، سمعت صوتاً مازحاً يقول:

ـ فوضى حلوة في اللباس تثير المشاعر.

كان هذا روجر.

ـ لم اعرف انك هنا.

اجابته خجلة وهي تحاول شد الغطاء حتى كاد يخفي وجهها، مما اضحكه.

ـ اعرف ذلك، كنت مشغولة بتأمل رسم كيوبيد، صرت تعرفين كل ثنية فيه.

ـ من رسمه؟

ـ زوجة روجر غالنت التي بنت الجزء الأمامي من المنزل عندما احترق جزء من البيت الاسباني القديم.

اجابته بحياء:

ـ انها غرفة حلوة.

اقترب منها حاملاً حقيبتها البحرية الصغيرة، وهنا تذكرت ميراندا الرسالة التي كانت تقرأها على الشاطىء.

ـ جئتك بهذه. (وألقى الحقيبة الصغيرة على الفراش) لقد كانت على الشاطىء.

جلس على طرف فراشها، وراح يتفحصها بنظراته، فتمنت لو انها رفضت لقاءه.

ـ اذا اتكأت على الوسادة ستشعرين براحة. (قالها بلطف، مبدياً

اهتمامه بوضعيتها) هكذا احسن. كيف تشعرين؟

- ضائعة قليلاً.

كانت في الحقيقة تائهة، الا انها لم تتأكد مما اذا كان ذلك الاحساس الغريب الذي تعانيه، مرده حاجتها الى القوت، او هو نتيجة غرقها الذي كاد ان يودي بها الى التهلكة، او ان الأمر كله يعود الى وجود روجر قريباً منها.

- انا شاكرة لك انقاذك اياي من الغرق.

- وما الذي يجعلك تعتقدين اني المنقذ؟

- اظن اني سمعتك تكلمني. قلت...

- خيالك واسع، يا ميراندا. لم اقل شيئاً. كنت مشغولاً بالابقاء عليك عائمة، بينما انت بدوت مصممة على الغرق، لماذا؟

- لم ارد الغرق. فقط سبحت عميقاً.

- على رغم تحذيري لك؟

- لم اعرف كم سبحت في العمق، حتى شعرت بالتيار يجذبني. حاولت الرجوع، لكني كنت تعبة، فانا لم اقصد اغراق نفسي، ولن اقوم بعمل كهذا. انا آسفة للازعاج الذي سببته لك. حالما اشفى سأعود الى اليخت.

- مستحيل، فاليخت رحل هذا الصباح.

- آه! ماذا افعل؟ متى يعود السيد انغرام؟ لماذا رحلوا من دوني؟

سألته، وفي صوتها هلع. واحست انها تركت وحيدة بلا معين، تحت رحمة هذا الرجل الذي بوجوده قربها، كان يشيع في احاسيسها شتى المخاوف.

- لأنه فشل في شراء اراضي غالنت، اسرع انغرام الى جزيرة

قصب السكر لاتمام صفقة. كان عليه ان يفعل ذلك لتبرير نفقات الرحلة البحرية. على كل، ما من احد يلومه لذلك. انسان مثله معتاد على النجاح لا يستسلم للهزيمة بسهولة.

ـ وكيف هزمته في اعتقادك؟

ـ حين اخبرته ان الاراضي بيعت لمؤسسة ثانية.

ـ اية مؤسسة؟

ـ مؤسسة مارني واوبري. انهما شريكان في مشروع جديد لانماء فورتوغا وجعلها سياحية.

ـ وكيف اقنعت طومس ببيع مارني واوبري حصته؟

ـ خطفت دون وابقيتها رهينة.

ـ انك قرصان!

ـ ربما. الحالات اليائسة تدعو الى تصرفات يائسة.

ـ لكن لماذا قررت استخدام دون؟

ـ عند زواجها من طومس وعدته بالاقلاع عن الغناء. وما فعلت هو اني منحتها فرصة للغناء، وصار رجوعها عنه مستحيلاً، فأقنعتها بالسفر الى نيويورك كي تغني في نواديها الليلية، بهذا تمكنت من مساومة طومس. هل انت آسفة لخسارة انغرام والترانسمارين؟

ـ ليس تماماً. اعرف الآن لماذا تريد الاحتفاظ بغالنت فانسي. ان مارني قد فعلت العجائب.

هنا مد روجر يده الى جيبه وتناول رسالة وسلمها اليها قائلاً:

ـ انها من انغرام.

ـ شكراً.

وحين فضتها سقطت منها حوالة مالية من دون تعليق او كلمة.

قالت:

ـ انتظر رجوعهم لاصطحابي، انهم لن يعودوا الى سان خوان من دوني.

ـ هذا ما اتوقعه. ولكن الى ان يحين ذلك يمكنك البقاء هنا حتى الشفاء. ماذا ستفعلين في لندن؟

ـ سأعود الى ممارسة وظيفتي السابقة. فأنا لا اصلح لأن اكون سكرتيرة خاصة، لأني سرعان ما أتأثر واتخذ المواقف.

ـ انا سعيد انك وقفت الى جانبي. على كل، من الأوفق ان اخرج من هنا، والا فان مارني ستلومني لوجودي معك وحدي في هذه الحجرة الصغيرة. انها محافظة ومتمسكة باخلاق صارمة.

ـ طبعاً، انت لا تشاركها في هذا.

ـ عندي قيم اخلاقية تناسب هذا العصر، انها قيم واقعية. ان تحفظ مارني الصارم يؤدي الى الضرر بالآخرين وبنفسها، فهي ترفض الزواج من اوبري لانها عمياء، فما هذا الموقف المثالي؟ كذلك هو لا يتزوجها لاعتقاده انه لا يليق بها. انهما يمضيان العمر منفصلين بدلاً من الزواج. اي شيء هذا ان لم يكن مراءاة؟

ـ ولماذا يعتقد اوبري انه لا يليق بها؟

ـ لأن والده كان بحاراً وامه متحدرة من عائلة كان افرادها رقاً وعبيداً. هو يظن انها ارفع منه مستوى لأنها من عائلة غالنت، ولأنها تعيش في منزل جميل. وهذا كله هراء. الحب الذي بينهما لا يرقى اليه حب اخر. وعليهما الا يأخذا اي اعتبارات او تقاليد قد تقف حاجزاً في طريق سعادتهما: في اي حال، لن يعيشا في بقعة غير هذه، وهنا لا وجود لهذه التقاليد البالية.

حاولت ميراندا التخفيف عنه نتيجة شعوره انه المسؤول عن

عمى مارني فقالت:

ـ اخبرتني مارني عن جوزفين. انها لا تلومك اطلاقاً، هي تدرك الآن انها اخطأت في تدخلها فيما لا يعنيها.

ـ ربما اخبرتك القصة كي تتعظي بها. (بان الضيق على وجهه وهو يمشي في اتجاه الباب) لا وقت اكثر لدي لتبادل الحديث. يجب ان اذهب.

ـ سمعتك تعزف على البيانو.

ـ كنت احاول ان اؤلف لحناً لرقصة باليه عنوانها: لحني الى ميراندا.

ـ تعني ميراندا شكسبير؟

ـ ومن سواها؟ ارجو ان تعتبري هذا بيتك. لا تستعجلي السباحة. دعيني اعرف متى ستغامرين في المحيط حتى ارافقك.

احبت ميراندا حجرتها في غالنت فانسي، كما احبت المكتبة او ما سمي غرفة الموسيقى حيث كان روجر يقضي معظم وقته يؤلف لحن ميراندا شكسبير. في الحقيقة كانت ميراندا سعيدة في اقامتها.

كانت تتوقع عودة انغرام خلال عشرة ايام، وهي لم تضيع وقتها سدى، فانطلقت تتمتع بوجودها في تلك الربوع ما استطاعت. كتبت لعمتها كلارا تخبرها بما حدث معها، كذلك ارسلت كلمة الى اختها دوروتي وجو تتمنى لهما كل سعادة وحياة هانئة. ثم مضت توزع وقتها كل صباح اما في مرافقة اوبري الى البلدة والريف، واما في تبادل الحديث مع مارني. كما كانت تمضي بعد ظهيرة كل يوم في رفقة روجر على الشاطىء، يسبحان.

وكانت فترات السباحة هذه مزيجاً من البهجة والمعاناة بالنسبة

اليها. فهو احياناً يكون طيب المزاج فيأخذ في مشاكستها بأي وسيلة يتفتق عنها ذهنه، اوهو احياناً يكون هادئاً، مأخوذاً في عزلة مع ذاته، فيتنحيان مكاناً على الشاطىء، ويتبادلان اطراف الحديث. وهنا كانت معاناة ميراندا... في ان تكون قريبة جداً منه، وبعيدة في نفس الوقت.

لم يحاول قط استغلال وجودهما وحيدين كما لم يستغل طيبتها وبراءتها. وكانت تعاودها دائماً، وهي في هذه اللحظات الحالمة، حقيقة عودتها قريباً الى حيث عاشت قبلاً، لتفتقد قربه، وميلها اليه...

ذات مرة ذهبت مع اوبري لتشاهد اثار غالنت فولي وانقاض البيت الذي هجره طومس منذ عشر سنين، حيث اراد كل من مارني واوبري اقامة منتجعات سياحية مكانه لمن يرغب في عزلة تامة.

- في الحقيقة انها جنة (قالت ميراندا) من المؤسف ان مارني غير قادرة على التمتع برؤيتها.

- لكنها تشم وتشعر.

- ومع هذا، فان عماها عقبة تمنعها من السعادة الحقة.

- ما هي السعادة الحقة؟ ولماذا لا تعرفها مارني؟ ماذا تبغي من الحياة اكثر من العيش في مكان تحبه؟

- ربما تحب لو يكون لها رفيق يريحها في زمن الليالي الموحشة.

- هل تريدين القول ان مارني ترغب في ان تكون محبوبة، وان هذا غير ممكن بسبب فقدانها بصرها؟

- نعم. انها تعتبر الارتباط بامرأة عمياء خطأ. لهذا كان على من يحبها ان يصر على تغيير هذه الفكرة فيها.

ـ امتأكدة من ذلك؟
ـ متأكدة تماماً. روجر اخبرني بالأمر.
ـ اني اكثر سكان هذه الجزيرة اصراراً وحباً. وسترين قريباً مقدار اصراري وحبي.
وفي اليوم التالي كانت مارني مضطربة، وبعد الغداء بقيت ميراندا معها بدلاً من الذهاب للسباحة.
ـ اني ما زلت اعجب كيف استطاع ان يحملني من الشاطىء ثم عبر الهضبات التي تفصل الشاطىء عن المنزل وان يوصلني الى غرفتي من دون ان يظهر عليه عناء او تعب.
ثم استطردت:
ـ اوبري قوي، عيناه رماديتان، صافيتان كالبلور، ربما هما كذلك لأنه اسمر البشرة.
لم تقل مارني شيئاً، وتابعت ميراندا:
ـ انه شديد الحساسية، وهذه الحساسية تعيقه عن تحقيق السعادة الحقة.
ـ وما معنى السعادة الحقة؟
ـ الحياة مع من نحب (اجابتها ميراندا) انها شركة في كل شيء.
ـ ولماذا لا يقدر اوبري على تحقيق ذلك؟
ـ لأنه يشعر انه لا يليق بالمرأة التي يحب.
ـ كل امرأة يجب ان يسعدها حب اوبري. ما احمقه. انتظري حتى المساء. سأتكلم معه.
وفي الأيام التي تلت، تطورت العلاقة بين الشريكين الى مرحلة جديدة. وراحا يقضيان الوقت الطويل معاً اكثر من السابق. ولم تعرف ميراندا اذا كان روجر قد لاحظ الفرق. كل ما ادركته هو انه

توقف عن السباحة معها لانشغاله بالموسيقى. لم تكن تعرف ان تأليف الموسيقى يتطلب عناء كهذا.

ـ انك تشاهدين شيئاً، نادراً ما يشاهده سواك. روجر في العمل. عليه ان ينتهي من المعزوفة في وقت محدود. كذلك هو مصمم على النجاح. شيء رائع بقاؤه هنا رغم انه في عمل مستمر، وهذا كله بفضلك.

سألتها ميراندا مذهولة:

ـ بفضلي انا؟

ـ اخبرني انه كان يبغي الرحيل بعد اكتشافه نوايا انغرام. غير انه فضل البقاء حتى لا تخسري وظيفتك. اني سعيدة لبقائه، والا لكان طومس قد خدعنا جميعاً. وهل انت سعيدة في وجودك معنا؟

ـ لم يكن من مهرب. المكان ساحر، وانت لطيفة، مضى اسبوعان على سفرهم.

ـ لكنهم لن يعودوا عزيزتي.

ـ لن يعودوا؟ يجب ان يعودوا. كيف الوصول الى سان خوان لأخذ الطائرة الى لندن؟

وشعرت ميراندا بالخوف والحيرة في آن.

ـ ألم يترك لك السيد انغرام ورقة يشرح فيها كيفية سفرك؟

ـ كلا. فقط رسالة فيها حوالة مالية. ومن قال لك ان انغرام غير عائد؟

ـ روجر. قال له السيد انغرام ان رجوعك الى لندن يجب ان يتم على حسابك، وانه في غنى عن خدماتك بعد عودتك.

ـ آه! لم يخبرني، لقد خدعني.

قالت هذا من دون ان توضح من هو الذي خدعها.

ـ اهكذا تعتقدين؟ بالنسبة الي، هذا شيء واضح. انا سعيدة لوجودك هنا، في استطاعتك البقاء هنا حتى آخر العمر.

ـ يجب ان اذهب. يجب ان اذهب.

قالت هذا خائفة من الحب الذي بدأ يطاولها ويحكم الطوق حول مشاعرها.

خرجت تبحث عن زوجر والغضب في كل خطوة من خطواتها وفي كل نظرة. وعرفت انه لا بد ان يكون في غرفة الموسيقى منكباً على مقطوعته الموسيقية. فتحت الباب، وهي تحاول ان تجد من غضبها وتتمالك نفسها. رأته جالساً الى طاولته، وقد برزت قسمات وجهه الجذاب في الظل الذي كان نور المصباح يطرحه على الطاولة. بدا مستغرقاً، غير شاعر بما حوله. بادرته بصوت قوي حاولت ان تخفي وراءه غضبها وخيبتها:

ـ لماذا قلت لي ان انغرام سيعود الى فورتوغا لاصطحابي؟

وبهدوء اجابها:

ـ لم اقل شيئاً من هذا، على ما اذكر. كل ما هناك هو انك سألت عن موعد عودته، فلم اجبك.

ـ لكنك كنت تعرف انه غير عائد. لقد خدعتني.

ـ حسناً، لقد خدعتك. الست سعيدة بالبقاء هنا؟

ـ طبعاً، انا سعيدة، لكني لا اريد فرض اقامتي عليكما طوال هذا الوقت.

ـ اذا كان هذا ما يزعجك، فما من مشكلة. ان اهالي الجزيرة فخورون بضيافتهم.

ـ ولماذا لم تخبرني الحقيقة؟

قال لها:

ـ حسناً. اذا كان هذا ما ترغبين، فسأخبرك حرفياً رأيه فيك. لقد قال ان لا فائدة ترتجى من عملك، وانك لست اهلاً لتكوني سكرتيرة، خصوصاً خلال الرحلة التي قمنا بها، اذ فشلت في تحمل المسؤولية التي القيت على عاتقك.

ـ لا! هذا ليس كلاماً منصفاً (ردت صارخة والغضب يملأ عينيها) لقد طبعت له كل الرسائل التي طلبها مني، كما دونت جميع الملاحظات التي كانت تهمه معرفتها.

اجابها روجر موضحاً:

ـ لا اعتقد ان هذا ما اراده فعلاً منك، بل هي المهمة الخاصة التي كلفك اياها. اتراك نسيت انه طلب منك التأثير علي لاقناعي ببيع حصتي من العقار، وفي الوقت نفسه كبح جماح تشك قبل ان يفقد صبره؟ لقد قال انك فشلت في المهمتين، في نظره. وعندما اقترحت عليه ان تبقي هنا فترة تستعيدين خلالها نشاطك بعد حادثة غرقك، لم يبال لأمرك كثيراً، وكان جوابه ان اعطاني هذه الحوالة المالية، وبالتالي لم تعودي سكرتيرة في شركة الترانسمارين.

وقفت ميراندا في مكانها، بلا حراك، تحدق فيه، والأسى يملأ قلبها. تتصور رد فعل عمتها كلارا متى عرفت ان ابنة اختها فشلت في وظيفتها، وهي الآن عاطلة عن العمل، حتى انها لا تملك توصية تخولها ايجاد عمل اخر.

اردف روجر يقول:

ـ الا اني لم ارغب في اطلاعك على هذا الأمر قبل الآن، لأنك كنت تعانين صدمة اخرى، ولم اشأ ان اضيف الى همومك هماً اخر.

ما رمى اليه روجر بكلامه، هو الرسالة التي كانت تلقتها من عمتها بشأن علاقة شقيقتها دوروتي وجو.

عاودها الغضب ثانية. فسألته قائلة:

ـ وكيف عرفت بالأمر؟

اجابها وفي بريق عينيه دلالة حزن وشفقة:

ـ لقد عثرت صدفة على الرسالة.

هتفت وفي نبرة صوتها اتهام:

ـ . . . وقرأتها، بالطبع؟

ـ نعم، قرأتها.

ـ أليس لديك اي رادع اخلاقي، يمنعك في الأقل من قراءة رسائل الناس الخاصة؟

ـ كان الهواء يتقاذف الرسالة على الشاطىء. قرأتها اعتقاداً اني قد اجد فيها ما يبرر ذهابك الى عرض البحر وحيدة. خصوصاً بعد الانذار الذي وجه اليك.

اقترب منها، مشرعاً ذراعيه، وقال:

ـ تعالي ميراندا، لم اقم بأي عمل قد يؤذيك. بل على العكس، عندما كنت وحيدة لا مكان او انسان تلجأين اليه، آويتك واهتممت بك ورعيتك. قد اكون اخطأت في قراءتي رسالتك، لكني كنت قلقاً عليك، عندما رأيتك تسبحين بعيداً عن الشاطىء، مع علمي انك لا تجيدين السباحة كثيراً. الن تسامحيني على خطأي هذا؟

وفيما هو يقترب منها، اخذت هي تتراجع، وخشيت ان تغفر له فعلته، لظنها انه قد يستغل سماحها وتقع بالتالي في شراكه.

هتفت فيه بصوت مرتجف:

ـ ابق بعيداً عني واياك ان تلمسني!

لكنه لم يعر تهديدها بالاً، وبانت في عينيه ابتسامته المعهودة، واخذ يقترب اكثر منها، ثم قال:

ـ لا تخافي، ميراندا. كل ما ابغيه هو مصالحتك. فلنتصافح، ولنكن اصدقاء ثانية.

لم تأمن نواياه، على رغم تطمينه اياها، وقدرت انه بعمله هذا انما يمهد طريقه لاستسلامها فينال مأربه. فردت بعصبية قائلة:

ـ شكراً لك توددك، غير اني لست في حاجة اليه. اذهب واعرضه على نساء لا يمانعن في ان يحققن ما تريد.

خيم صمت ثقيل اثر كلامها هذا. ثم رفع روجر نظره نحوها، وقال:

ـ حسناً، لكن لا تنسي اني سأجعلك تدفعين ثمن ما نطقت به.

وانفتح الباب وظهرت هيئة نحيلة، ورأس منحني يصغي:

ـ روجر. انت هنا؟ نعم، انت هنا. اسمعك تتنفس. هل من احد معك؟

ـ انا هنا، يا مارني، هنا مع ميراندا.

ـ آه، كم انا سعيدة، لقد كانت منزعجة لاعتقادها ان احداً قد خدعها. اما الآن، فكل شيء على ما يرام. اليس كذلك، يا روجر؟

ـ كل شيء على ما يرام، لا سبب للخوف. فانت لم ترتكبي اي خطأ.

ـ بل على العكس، لم يكن من واجبي قول اي شيء لجوزفين.

ـ انها غلطة، دفعنا ثمنها معاً، جوزفين تخص الماضي، دعينا ننسها.

ـ ميراندا تقول انها ستعود الى بلادها، فهل ستسمح لها بالعودة؟

ـ وكيف في امكاني ان امنعها اذا ارادت العودة؟ متى تودين الرجوع، يا ميراندا؟

ـ غداً.

ـ لا مانع في ذلك. والآن ارجو المعذرة، اريد ان انتهي من مقطع موسيقي قبل العشاء.

٧ - رفضته رغم حبها الكبير له، خوفاً من ان تكون تجربة عابرة في حياته، لا اكثر. لم تكن نظراته هذه المرة ساحرة وجذابة، بل حييّة كأنه لم يكن متأكداً من ردة فعلها... ام ان ما رأت كان خيالاً؟

في اليوم التالي وصلت سيارة اجرة. ودعت مارني ويكت، وكانت سعيدة ان روجر لم يظهر.

وعادت الى انكلترا لتستأنف الحياة من جديد. لم يكن عندها شيء: جو تزوج دوروثي، والترانسمارين استغنت عنها. كل ما بقي لها عمتها كلارا التي كانت تصغي اليها وهي تقص عليها ما حدث لها في رحلتها، وفي نهاية كل حكاية كانت تسألها:

ـ فيك الكثير من طباع امك، يا ميراندا، لقد احببت هذا الذي اسمه روجر، أليس كذلك؟

وكانت ميراندا تنكر ذلك باستمرار، غير ان عمتها كانت تقاطعها:

- نكرانك هراء، بقدر ما تعترفين يصير العبء اخف.

غير ان ميراندا كانت تعترف لنفسها في وحدتها. كانت تذكره وتبكي، لقد احبت رجلاً همه الوحيد الموسيقى. رفضته على رغم حبها الكبير له، رفضته خوفاً من ان تكون تجربة عابرة في حياته، لا اكثر. احبته كي تصير زوجته، كي تعيش معه حتى النهاية، كي تقاسمه الاحزان والافراح.

واخيراً وجدت ميراندا وظيفة. وذات يوم دخلت المنزل فسمعت عمتها كلارا تقول بصوت عال:

- تعالي، يا ميراندا، نحن هنا.

وفجأة رأته، كان روجر.

التقت عيناها عينيه للحظة خاطفة، وابتسم لها. لم تكن نظراته هذه المرة ساحرة وجذابة او تحتضن دعوة لا يمكن تجاهلها كما في كل مرة ينظر اليها. بل على العكس من ذلك، بدت نظراته حيية كأنه لم يكن متأكداً من رد فعلها حيال رؤيته ثانية... روجر غير متأكد ومتردد!! ام ان ما رأت كان خيالاً؟

- لماذا انت هنا، يا روجر؟

سلمت عليه، واحست بالقشعريرة في كفها. من زمان لم تكن بهذه الغبطة.

- هنا في انكلترا او هنا في البيت؟

- هنا في البيت.

- كي اراك. كذلك اريد التعرف الى العمة كلارا.

ـ كنا نتحدث عن مسرحية شكسبير، «العاصفة». انه يؤلف قطعة موسيقية ستعزف الخريف المقبل في لندن. لهذا هو في انكلترا حيث يقضي بضعة اشهر. اين شقتك، يا روجر؟

لم تسمع ميراندا جوابه. كانت تتذكر قوله: «قد نلتقي في لندن، لدي شقة فيها».

ثم قال بصوت متأفف:

ـ يسعدني جداً اذا ما قبلتما، انت وعمتك، دعوتي الى العشاء هذا المساء.

ـ اذهب انت وميراندا (سارعت العمة كلارا تقول من دون تردد) فهي لا تخرج الا ما ندر. اما انا فعلي ان اذهب الى المعهد حيث اتابع دروساً خصوصية.

حدقت ميراندا في عمتها بدهشة لا تحفظ فيها، لعلمها ان هذه الاخيرة لا تذهب الى المعهد مساء الجمعة. اضافة الى ان العمة لم تكتفي بالكذب بل هي غمزتها بطرف عينها!

ـ اذهبي وبدلي ثيابك، ميراندا (قالت العمة بلهجة تحمل معنى الأمر) البسي اجمل ما عندك، بينما اخبر روجر اي المطاعم في المدينة هو الأفضل لتناول العشاء.

حارت، وهي في غرفتها، في اختيار ثوب للسهرة. ذلك ان ذهنها كان في دوامة. اخيراً، ارتدت ثوباً عادياً بسيطاً ابرز جمالها ورشاقة قوامها.

السيارة التي استأجرها روجر، كانت متوقفة قرب المنزل. جلست الى جانبه، وانطلقا الى حيث نصحته العمة كلارا.

في الطريق، كانا في البدء صامتين، التوتر على اشده في داخلهما،

واخيراً بادرته بالقول:
- كيف حال مارني؟
اجابها:
- قالت لي ان اشكرك على الرسالة التي بعثت بها اليها.
ضحكا معاً ضحكة مسترسلة. وعاد الجو نقياً من اي تشنج.
- مارني بخير. لقد اعلنت، هي واوبري، خطوبتهما. سيتزوجان في نهاية حزيران. وهي تود لو تعودين الى فورتوغا لحضور حفلة زواجهما. هل ترغبين في ذلك؟
فجأة احست بالارتباك.
- اني سعيدة لكليهما، ولكن كيف استطيع الذهاب؟ انها رحلة طويلة. ولا يمكنني تأمين كلفة السفر. كما ان الوقت لا يسمح لي. لقد وجدت وظيفة اخرى. وليس سهلاً ان اطلب اجازة ولم يمض شهر بعد على بدئي العمل.
كانت الكلمات تتدفق من فمها بتسارع لم تستطع معه تمالك نفسها. اوقف روجر السيارة الى جانب الطريق. واطفأ محرك السيارة. وكانت الأضواء خفيفة الى درجة بالكاد يستطيع المرء ان يميز الظل من صاحبه. التفت نحوها، وبصوت هادىء ملؤه الحزم، قال:
- كفى، ميراندا.
امسك يدها المرتعشة، واضاف:
- لا بد انه كان شهراً صعباً عليك مذ تركت فورتوغا، أليس كذلك؟

ويصوت خافت مستسلم، قالت:

- نعم.

- كذلك كان الأمر بالنسبة لي. لقد عانيت الكثير بعد رحيلك وندمت لأني سمحت لك بالذهاب. ووجدتني وحيداً، افتقدك كل لحظة، لذا ترينني هنا، الآن، بقربك. هل تقبلين حضور حفلة زواج مارني، كزوجة لي؟

هجعت يدها في راحة يده، ونظراتها في عينيه. ثم مدت يداً تتحسس قسمات وجهه. واخيراً قالت:

- اني اتأكد فقط من انك هنا، معي، واني لا اتخيل الحقيقة.

ابتسم قائلاً:

- اني هنا فعلاً بجسمي وعقلي وروحي.

واستطرد:

- حسناً، ما هو جوابك؟

- اريد ان اتأكد اولاً انك لم تعرض علي الزواج لأنك لم تستطع ان تنال مني بطريقة اخرى، لأني اعتبر الزواج رباطاً مقدساً قوياً لا يمكن حل وثاقه.

نظر اليها بعبوس وقال:

- وهل تظنين ان رأيي في الزواج يختلف عن قناعاتك؟ ولماذا، في اعتقادك، لم اتزوج الى الآن؟ اليس لأني لم اكن وجدت بعد المرأة التي تستحق ان تكون شريكة حياتي الى الأبد؟ ولماذا انا هنا معك؟ اليس لأني احبك؟

- آه، كيف لي ان اعبر عن اسفي على كل ما فعلت، او قلت؟

ـ لا تقولي شيئاً. فقط دعيني اعرف ان كنت تقبلين دعوة مارلي.

ـ سأذهب ان ذهبت، فانا احبك يا روجر.

وفي الليل الداهم راحت السيارة تشق الظلام.

روائع الأدب الرومانسي

زوجة الهندى
السر الدفين
طال انتظاري
الوجه الآخر للذئب
برج الرياح
الماضي لايعود
لقاء الغرباء
وردة قايين
عصفور فى اليد
الغيمة أصلها ماء
الهوى يقرع مرة
خيط الرماد
الصقر واليمامة
حتى تموت الشفاه
أصابع القمر
وعاد فى المساء
القرار الصعب
الفريسة
أريد سجنك
خطوات نحو اللهب
دمية وراء القضبان

عذراء فى المدينة
الامواج تحترق
العروس الاسيرة
رجل بلا قلب
سيدة القصر الجنوبى
شهر عسل مر
عيناك بصري
من أجل حفنة جنيهات
رجل من نار
نداء الدم
ليالي الفجر
ما أقصر الوقت
قلب فى المحيط
المجهول الجميل
الزواج الابيض
أقدام فى الوحل
قال الزهر آه
كيف أحيا معك
غضب العاشق
مزرعة الدموع
الواحة

آخر الأحلام
هل تخطىء الانامل
البحر الى الأبد
الحصار الفضي
الشبيه
الكذبة
الندم
انت لي
جراح باردة
طائر بلا جناح
عاطفة من ورق
قطار فى الضباب
قل كلمة واحدة
مندلا
تعالى
السعادة فى قفص
هاربة
هذيان
أرياف العذاب
اللهب والفراشة
لا ترحلي

روائع الأدب الرومانسي

الضائعون
صرخة البراري
دليلي
دخان
الثأر
وفازت
خذ الحب واذهب
اللؤلؤة
لا تقولي لا
المجهول
بين السكون والعاصفة
رمال في الأصابع
الشريدة
شاطئ العناق
ذهبي الشعر
تعالى إلى الأدغال
الفخ
في قبضة الأقدار
دليلة
القيد
الماس اذا التهب

الحمقاء الصغيرة
حائرة
نهر الذكريات
نبع الحنان
اليخت
إثنان على الطريق
سيد الرعاة
غفرت لك
عنيد
صعب المنال
أين المفر
القرصان
اللمسات الحالمة
لحظات الجمر
النجمة والجليد
توأم التنين
البحار الساخر
جرح الغزالة
لن ترف الجفون
الشمس والظلال
أنين الساقية
شريك العمر

سمعا وطاعة
أيام معها
صحراء اللج
الأغنية المتوحشة
بانتظار النلام
يدان ترتجفان
ممر الشوق
المفاجأة المذهلة
أسوار وأسرار
الإرث الآسر
عروس السراب
الحد الفاصل
الحصن المرصود
كالسحر
تناديه سيدي
أعدني إلى أحلامي
المنبوذة
الخطاف
الوعد المكسور
السجينة
الخلاص
هديتي

هذه الروايات هي جواز سفرك إلى عالم الخيال والعاطفة، إنها أيضًا بطاقة للإبحار في زورق الحلم خارج ليل الوحدة

تأخذك هذه الروايات إلى حيث تشعّ منارة اللقاء، ويربح الحبّ كلّ جولة مع السّعادة

في روايات عبير أصابع الحنان تغيّر مجرى الأيام نحو ربيع المشاعر

إنّها دنيا الحب، تجمّعت في سطور...

مِنَ القَلبِ ... إلى القَلبِ

